تاريخ الإمام علي (عليه السلام) السياسي

بن أبي طالب

قراءة موجزة عن بعض الأوضاع السياسية في حياة أمير المؤمنين (عليه السلام)

بقلم
عبدالله بن علي رستم

دار المحجة البيضاء

تاريخ الإمام (عليه السلام)
علي
بن أبي طالب
السياسي

تاريخ الإمام علي (عليه السلام) بن أبي طالب السياسي

قراءة موجزة عن بعض الأوضاع السياسية في حياة أمير المؤمنين (عليه السلام)

بقلم
عبدالله بن علي رستم

شبكة كتب الشيعة

دار المحجة البيضاء

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهداء

إلى رمزي الحرية في حياتي والدي الكريمين اللَّذين منحاني الحب والعطف والرعاية وحرية التفكير.

وإلى شركاء حياتي في السراء والضراء زوجتي وأبنائي الذين وهبوني جزءاً من وقتهم في كتابة هذا البحث.

وإلى الصديق الغالي الذي نحتُّ اسمه في قلبي، وما انفك لحظة عن الدعاء لي أبو مهدي.

وإلى الشخصية المثابرة في تشجيع الباحثين على طباعة إنتاجاتهم والوقوف معهم المهندس/ عبدالله بن عبدالمحسن الشايب.

حفظهم الله جميعاً ولا أراني مكروهاً فيهم...

عبدالله

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين... وبعد.

لا شك أن الدراسات التي تناولت شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كثيرة، ومتفاوتة من حيث القُوَّةِ والضَّعْف، الشمولية والاختصار، السَّرْد والتحليل، وذلك لاعتماد مؤلِّفي تلك الدراسات على منهجٍ مُعَيّن، قد نتفق معهم وقد لا نتّفق، إلا أنه في المحصلة النهائية أن هذه الشخصية حازت على بروز عالمي، ومع كثرةِ تلك الدراسات المطبوعة والمخطوطة، القديمة والحديثة، إلا أننا ما نزال بحاجةٍ إلى تناول هذه الشخصية في كلِّ عَصْرٍ، لأنها بحر لا ينضب، فالقراءة الأولى لتاريخ الإمام عليه السلام ليست كافية، وتناول الأحاديث الصادرة من عنده، والواردة بحقه، تحتاج إلى تفكيرٍ كُلَّما قَرَأْنَا شيئاً من سيرته، لأنَّ عقل الإنسان قاصر عن إدراك

هذه الشخصية الربّانيّة، وهذه الشخصية بلا شك تواكب كل عصر بمعطياته الثقافية والفكرية والسياسية وجميع جوانب الحياة.

ما في هذه الدراسة الموجزة هو تركيز على ثلاثةِ أحداثٍ تاريخيّةٍ في حياته عليه السلام، ألا وهي: قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين، مع مرورٍ سريعٍ في بداية البحث على أحداث السقيفة وما أنتجته، باعتبار أن كل حدثٍ في حياته يستلزم قُدْرَةً فكريّة كبيرة في استقراء ما هو مطبوعٌ عنه عليه السلام، إضافة إلى ذلك أن بعض ما هو مطبوع يحتاج إلى قراءةٍ علميّةٍ بعيداً عن الانتماء الطائفي أو الدِّيني، لذا فقد بذلتُ جهدي في التركيز على بعض الدراسات المعاصرة، التي يعتقد بعض من يقرؤها أنّها منهجية وموضوعية!! وهذه مغالطة وإن كانت تحمل شيئاً من الصحة، إلا أنه وكما أسلفتُ أننا بحاجة إلى قراءة ما كُتب عنه لنحقق شيئاً من الشمولية، ثم إنّ هذه الدراسة محاولة قد أُخفقُ فيها وقد أنجح، وهذا ما يقرره القارئُ العزيز.

ولا أظنني أدّعي التفوّق في طرحي هذا، لأنَّ العصمةَ بيد من عَصَمَهُ اللهُ من الزلل والخطأ، فقد تأتي الأيّام لقراءة بعض الجوانب من سيرته عليه السلام ونعطيها بعداً أكبر وشموليةٍ منحازةٍ إلى الموضوعية والمنهجية التي هي والحق في خط واحد، وكذلك

هذا الجانب (السياسي) الذي قد تطرأ عليه بعض التعديلات في الأيام والسنوات المقبلة وهذا ما أرجوه.

مسألةٌ أتمنى تحقيقها في أيِّ دراسة تتعلق بأيِّ شخصية من شخصيات بيت النبوّة عليهم السلام، وهي: وجود متخصصين في مجال الدراسة التي تأخذ مجراها من البحث والتحقيق، مثل: لو أتينا إلى الجانب السياسي، حبذا لو يتفرَّغ أحد الباحثين السياسيين ويقرأ هذا الجانب من شخصية الإمام عليه السلام، ويبحثها من جهةٍ تخصصية، مع تسليطِ الضوءِ على الأحداثِ السياسية التي مرَّت على التاريخ ومقارنتها بما قام به الإمام من أدوار سياسيّة في حياته، ذلك أن المتخصص لديه سعة أُفُقٍ في مجال الدراسة، ولا أقصد ذلك التحليل التاريخي!! بل ما أقصده وأرجوه هو: دراسة الجانب السياسي دراسةً مستفيضةً من متخصص، ذلك أن المتخصص يمتلك الآليات التي تمكّنه من إعطاء البحث قيمةً وقوّةً وشموليّة، وكذلك الجانب العبادي في سيرته عليه السلام، حبذا لو صَدَرت من إنسان كرَّس حياته شكلاً ومضموناً في الجانب العبادي، فإنَّ ذلك له أثره من حيث القوّة والضعف، وهكذا في الجوانب الأخرى من حياته وحياة أبناءه عليهم السلام، ولذا فإنَّ هذه الدراسة وإن كنتُ غير متخصص في مجال السياسة، إلا أنّها محاولة أرجو فيها تقديمَ شيءٍ جديد على مستوى الجانب النظري.

وقد صَدَرت بعض الدراسات في مجالات أخرى اطلعتُ عليها بأقلامِ متخصصين، مثل: الجانب القضائي، الجانب الدَّعوي، الجانب الفلسفي... وغيرها من الجوانب التي كان عليٌّ عليه السلام موجودٌ فيها، نسألُ الله من يُقَيِّض لتلك الجوانب من يبحثها بحثاً مستفيضاً.

أسألُ اللهَ العليّ القدير أن يوفقني في كتابةِ بحوثٍ أخرى عن سيرتهم عليهم السلام، وأتمنَّى أن تكونَ مختلفةً كُلَّ الاختلافِ عمَّا هو مطبوع، لأنَّهمُ البَحْرُ الزَّخَّارُ الذي يغرفُ منهُ كل من أرادَ الحقيقة.

كتبه

عبدالله بن علي الرستم

رمضان ١٤٣٠هـ

تمهيد

تعتبر شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أبرز الشخصيات التي عاشت في كنف النبوة، وأعظم وأهم شخصية قبل وبعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وذلك لما تحمله من مؤهلات وسمات جعلته يكون كذلك، ليس لأنه صهر رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أو أنه ابن عمه؟! أو أو... الخ، بل لأنه حمل تلك السمات التي لو كانت في شخص آخر لاحتلّ هذه المساحة في التاريخ الإسلامي التي احتلّها أمير المؤمنين عليه السلام.

وبإطلالة خاطفة على صفحات التاريخ الإسلامي والإنساني والعربي والعالمي بإمكاننا استلهام الكثير من الفوائد والقضايا المختلفة في جميع مجالات الحياة المستلّة من حياته عليه السلام، والتي ملأها بعلمه وحكمته، بحكمه وقضائه، بإدارته ونضاله، لأنه تربى في أفضل بيت وُجِد على وجه البسيطة، وهذا البيت هو بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أخذ تعاليمه

من تعاليم الله عزّ وجلّ، وهذا صريح قوله صلى الله عليه وآله: **أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[١]، والذي يؤكده عليه السلام من جهة أخرى بقوله: وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ [أَنْ] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُني بِالاقْتِدَاءِ بِهِ[٢]، وغيرها من الشواهد التي تدلُّ على أنهُ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وآله والنسخة الأخرى في كلامه وسلوكه وشجاعته وحكمته وجميع شؤون حياته.

ولأهميّة ما ذُكر آنفاً، تَنتج الآراء المتباينة في فهم الجانبِ السياسي لتاريخ الإمام علي عليه السلام الذي أرجئُ بدايته النظرية والعملية أثناء وجوده في مكة المكرمة، وربما بالتحديد حينما وقف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله على رؤوس قومه عندما نزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٣] وقوله لهم: «...**أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟**»، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: أنا يا نبيّ الله...

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج١٠ ص٨٦.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح خطبة رقم (١٩٢) المسماة بالخطبة القاصعة قسم [فضل الوحي] ص٣٠٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤

الخ[١]، وحيث إن هذا الموقف يبلور مدى إدراكه عليه السلام لهذه الدعوة والرسالة العالمية، والتي تُعتبر من المسائل المهمة وإن أعطاها بعض المؤرخين زاوية ضيّقة من التفسير العلمي في تاريخه عليه السلام.

إضافة إلى ذلك أن هناك عوامل ساعدت على بروز شخصية أمير المؤمنين عليه السلام على الساحة السياسية، وذلك بوضعه البنود والحلول الكثيرة للقضايا الواقعة والطارئة سواء فترة خلافته أو قبل استلامه زمام الخلافة، وإن كان ظاهر تلك التحركات والحلول الفشل الذريع كما يفهمه ويفسره بعض من يتناول شخصية أمير المؤمنين عليه السلام وهي على خلاف ذلك، باعتبارها أطروحات وحلول مارسها عليه السلام كانت بعض نتائجها الفعلية بعد فترة من الزمن، وبعضها كانت في الوقت ذاته، وذلك لتحرّكه المقرون بالمبادئ والقيم الإسلامية والإنسانية، وسنرى ذلك خلال النقاط التي سيتم استعراضها في الأسطر القادمة.

---

(١) يراجع في تفاصيل هذه المسألة شرح الآية الكريمة عند كل من: الغدير للعلامة الأميني ج٢ ص٢٧٨، الإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٤٩، تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وتفسير مجمع البيان للشيخ العلامة الطبرسي، وموسوعة الإمام علي عليه السلام ج١ ص١٤١ للريشهري، وذلك بألفاظ مختلفة، ومصادر أخرى كثيرة ذكرها الشيخ الريشهري في موسوعته.

والأجدر في تناول هذا الجانب من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، هو التركيز على الوضع الجغرافي والاقتصادي المعاصر لفترة زمنية معينة هي النصف الأول من القرن الأول، أو دراسة وضع الحجاز إبّان وجود النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة وحتى وفاة معاوية بن أبي سفيان باعتباره ـ معاوية ـ معاصرٌ للأحداث المريرة التي حلّت بالأمة الإسلامية، ولما له ولأبيه من اليد الطولى في ذلك لانسلاخهما عن القيم والمبادئ القرشية وتفريغهما من محتواهما الروحي، وصبغهما بصبغة العصبية القبلية التي نهى عنها الدين العالمي الجديد (الإسلام).

الغرض من هذا البحث:

ليس الغرض من هذا البحث هو تدوين كل ما جرى على أمير المؤمنين عليه السلام في حياته السياسية!! أو تسجيل بعض الملاحظات للشخصيات المناوئة له!! لأن وظيفة التاريخ وظيفة أخلاقية قبل كل شيء، باعتبار أن سرد الحوادث سرداً آلياً لا يرفع تلك الحوادث إلى مستوى التاريخ!! وأن المطلوب هو التركيز على أمهات الحوادث التي تجعل من التاريخ سلسلة متماسكة الحلقات بيّنة الأثر في حياة الأمة التي نقصُّ تاريخها، ودراسته لا تكون صحيحة إلا بتعليل الحوادث[1]، وهذا ما

---

(١) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د/ عمر فرّوخ، ص٦ (بتصرف).

سنقوم به إن شاء الله قدر المستطاع، محاولين الحفاظ على تماسك الأحداث، ولنخرج بفوائد شتى بعيدة كل البعد عن السرد الممل، إضافة إلى ذلك هو تقديم شيء قد يكون مختلفاً عمّا هو مطروح سواءً من حيث الاستدلال أو الأسلوب أو العرض.

مكانة الإمام عليه السلام:

قبل الولوج في خضم هذه الدراسة، من الواجب توضيح مكانة هذه الشخصية التي نُفرد لها دراسةً مستقلةً في جانبٍ من جوانبِ حياتها وهو الجانب السياسي، ولن أطيل في ذلك باعتبار أن هذا الجانب مشبعٌ في دراساتٍ كثيرة، وحتى الأحاديث التي سنستشهد بها فإنها مستفيضة عند جمعٍ كبيرٍ من المحدثين والمؤرخين من أتباع المذاهب الإسلامية، ولكن نأتِ بذلك لتوضيح مقام الإمام عليه السلام، حيث من خلال معرفتنا لمكانته نستطيع قراءة سيرته بجميع جوانبها قراءة مختلفة عما قدّمه بعضُ من كتب عنه عليه السلام.

فلتوضيح مقامه عليه السلام نستشهد بأقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في حقه، والتي تعتبر فيصلاً في هذا الأمر، وسنحاول قدر الإمكان أخذ حديث واحد في كل جانب من جوانب حياته عليه السلام:

١ ـ **(لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)** المحبة الإلهية[١].

٢ ـ **(أقضى أمتي عليّ)** الجانب القضائي[٢].

٣ ـ **(برز الإيمان كله إلى الشرك كله)** الجانب الإيماني[٣].

٤ ـ **(والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي)** الجانب الأخوي[٤].

٥ ـ **(أنا مدينةُ العِلم وعليٌّ بابُها)** الجانب المعرفي[٥].

---

(١) أصول الكافي، الشيخ الكليني ج١ ص٢٩٤ والسيرة النبوية، ابن هشام ج٣ ص٣٣٤ بلفظ مختلف **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله»** وغيرها من المصادر المختلفة.

(٢) الغدير، الشيخ. عبد الحسين الأميني ج٣ ص٩٦، وراجع: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي فصل (أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب)، وذكر كذلك قول عمر بن الخطاب: علي أقضانا. وراجع: ذخائر العقبى للطبري ص٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١٩ ص٦١، إرشاد القلوب للديلمي ص٢٤٤.

(٤) التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، الباب الحادي والعشرون في المودة والإخاء والمعاشرة.

(٥) القول الجلي في فضائل علي، السيوطي، ص٣٥ ـ ٣٧ والمستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٣٧.
صنّف كل من الشيخ إبراهيم الأميني، والشيخ أحمد بن الصديق الغماري كتاباً في تخريج هذا الحديث لإثبات صحته بطرق كثيرة (فليراجع).

٦ ـ (أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب) الجانب العلمي[١].

٧ ـ **(يا علي إن فيك مثلاً من عيسى ابن مريم عليه السلام أحبته النصارى حتى أنزلته بالمنزل الذي ليس له، وأبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، ولولا أن تقول فيك طوائفٌ من أمّتي ما قالت النصارى في المسيح ابن مريم لقلتُ فيكَ قولاً، لا تمر بملأٍ من أُمّتي إلا أخذوا من تُرابك وطلبوا فضل طهورك، ولكن أنت أخي ووزيري وصفيّي ووارثي وعَيْبَةَ عِلْمِي)**[٢] وراثته لمقامات الأنبياء.

أخلاق السياسة عند الإمام علي عليه السلام:

لعل من الجوانب المتغافل عنها في حياته عليه السلام هي أخلاقيات السياسة، التي تُعد مسألةً مهمةً في التاريخ العربي القديم والحديث، ويعتبر أمير المؤمنين عليه السلام من الشخصيات البارزة التي وظّفت الجانب الأخلاقي في التعاملات السياسية، فهو ليس سياسيٌ صِرف يُقَدِّمُ مصالحهُ الشخصية على مصالح الأمّة!! ولم يتعامل قطّ بالطُرق الملتوية وغير المشروعة

---

(١) الغدير، الشيخ عبدالحسين الأميني ج٣ ص٩٦.

(٢) الأمالي الشجرية، ابن الشجري، الحديث السادس: فضل علي بن أبي طالب عليه السلام.

كالاغتيالات وطرق الانتقام وتصفية الآخرين سراً وعلناً كما فعل ندُّهُ معاوية بن أبي سفيان الذي جنّد الجند من نساء ورجال لتحقيق مآربه الشخصية للوصول إلى عرش المُلك الذي نهجه في حياته.

إضافة إلى ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام يدرك الطرق التي يتعامل بها معاوية، إلا أنه يربأ بنفسه أن يفسد دينه لأجل دنياه كما صرّح بذلك في بعض أقواله، ولذا فإن الشواهد كثيرة على هذا القول في حياته السياسية، فهو لا ينتقم لأجل تقديم رضاه على رضا الله عزّ وجلّ، ولم يدخل حرباً لأجل نفسه، ولم ولم...الخ، على خلاف بعضِ المؤرخين الذين يرون أن علياً عليه السلام يرى نفسه أحق بالخلافة دون سواه، فقط لأنه هاشمي، بينما المسألة أعمق وأخطر من ذلك بكثير، باعتبار أن هناك خططاً مدبّرة ضده عليه السلام وذلك بإغلاق جميع الأبواب في وجهه لئلا يصل إلى مركز الخلافة بأيِّ شكلٍ من الأشكال، ولذا حينما وصلها، فإنه وَصَلَها وهي مثقلةٌ بأغلال المشاكل والقضايا التي خَلَقَها وخلّفَها من كان قبله ومن كان معه، وهذا ما سنأتي عليه إن شاء الله، وهذه كذلك من المسائل التي حيكت ضده لإسقاطهِ سياسياً، ومع ذلك مازال ملتزماً بمنهجه الأخلاقي السياسي الذي خطّهُ لنفسهِ، ولأهميّة هذا الجانب قدّمنا الفكرة وتركنا الشواهد تُبرز نفسها داخل هذا البحث، وإلا فهذا موضوع يحتمل أضعاف هذه الأسطر القليلة.

كيف برز عليه السلام سياسياً؟

من المسائل التي تُطرح حول تاريخ الإمام علي عليه السلام أنه كيف برز سياسياً؟

وللإجابة على هذا التساؤل، نقول:

إن الأحداث التي مرّت بالأمّة من غزوات وحروب وسرايا هي التي جعلته يبرز على المستوى السياسي، ولعل جانبَ الشجاعة هو الدور الأبرز في هذه المسألة حيث جدّل فرسان الأعداء من مشركي قريش بدءاً من دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله في مكّة المكرّمة مروراً بواقعةِ بدرٍ والأحزابِ وأُحدٍ وخيبر وحتى الجمل وصفين والنهروان، كل هذه الأحداث جعلت الرأي العام من مشركي قريش وحلفاءهم يتألّب ضِدّهُ، إضافةً إلى ذلك عدم مبالاتهِ بأحدٍ في تنفيذِ أوامرِ الله عزّ وجلّ وأوامر رسوله صلى الله عليه وآله، والأمر الأكثر حساسيةً هو: يوم وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أو ما يُعرف بأحداث السقيفة ورزية الخميس وما رافقها من أحداث سنأتي على ذكرها بإيجاز.

تحرك الإمام السياسي إبان حياة النبي صلى الله عليه وآله:

لم تكن تحرّكاتِ الإمام عليه السلام بدون موافقةِ ومباركةِ النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، لأنه ممن تأدّبَ بأدبِ الرِّسالة وتخلّق بأخلاق

النبوّة، ولذا كان هذا من سماتهِ وخصالهِ عليه السلام التي انفردَ بها عن غيره، إضافةً إلى ذلك لم يكن من الشخصيّات التي تتعامل مع النبي صلى الله عليه وآله تعاملاً سطحياً، بل كان يعتبر وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله المحفوف بالرعاية الإلهية وجوداً مهماً بالنسبة للأمّة وله شخصياً، ذلك أنه أعطى النبوة فهماً مغايراً لما يفهمه بقيّة الصحابة والمعاصرين لفترة النبوة، وتعامَلَ معها بتعاملٍ يختلف عن تعامل الصحابة، وهذا يتجلى في أقوالهِ وأفعالهِ والأحاديث التي صَدَرَتْ بحقّهِ عليه السلام من النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله والأقوال التي صدرت منه بحق رسول صلى الله عليه وآله.

وحينما أرجأنا بداية تحركه السياسي إلى مؤازرته النبي صلى الله عليه وآله في مكّة المكرّمة، فإن الحدث الذي جاءَ بعدهُ هو مقارعته صبيانِ قريش الذين آذوا النبي صلى الله عليه وآله أشد الإيذاء، مما حدا بالنبي صلى الله عليه وآله أن يقول: «**ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت**»[1]، فقد كان يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله متى ما سنحت له الفرصة، كأبيه أبي طالب عليه السلام، باعتبار أنَّ الدِّفاع عن النبي صلى الله عليه وآله هو دفاعٌ عن الرِّسالةِ ذاتها.

وليس صحيحاً ما يقالُ بأنَّ علياً عليه السلام لم يكن يدخل في

(١) الكشكول، الشيخ البهائي.

الأمور مع الكبار أثناء حياة النبي ﷺ كما كان يدخل معه أبو بكر وعمر[١]!!

لأن دخول بعض الصحابة مع رسول الله ﷺ يعتبر تارة معارضة وتثبيط، كالذي جرى في غزوة بدر، وعند احتضار رسول الله ﷺ وغيرها من الأحداث، ويا ترى أين الأحاديث الصادرة من النبي الأعظم ﷺ في حق بعضهم وتوضيح مقامهم، وما الروايات التاريخية وغيرها التي أعطت غيره مكانة تفوق الواقع، فإنها محل نظرٍ لا تصمدُ أمامَ النقاشِ العلمي التي ليس محلّها هنا، فأمير المؤمنين عليه السلام يتعبّد بأوامر رسول الله ﷺ وما صرّح القرآن الكريم به، وما أكثر التصرفات التي صَدَرَت منهُ عليه السلام وأقرّها رسول الله ﷺ، وخيرُ شاهدٍ في ذلك الأحاديث التي صدرت بحقّهِ والتي ذكرنا جزءًا منها آنفاً.

أحداث السقيفة:

لتكن النقطة الأخرى حول التحرك السياسي له عليه السلام من وفاةِ النبيِّ الأعظمِ ﷺ الذي أفرز الصحابة وفرّقهم إلى تيارات صغيرة اختلفت في أهمِّ قضية من قضايا الإسلام وهي (الخلافة) وهل هي نصٌ أم شُورى؟!

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، ابن تيمية، اختصره الذهبي، حققه وعلق على حواشيه/ محب الدين الخطيب، ص٤٧٦.

فإنا نرى أنّه مَارَسَ دوره الرِّساليّ المنوطِ به، والتكليف الشرعي الذي تعلّمه من أخيه وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله، وواجبه الإنسانيّ والفطريّ تجاهَ أيِّ إنسانٍ يموتُ، فكيف إذا كان المسجّى بين يديه هو أخوه وابن عمه وأبو زوجته وحبيبه وقرّةُ عينهِ ومن له الفضل في كل شؤون حياته عليه السلام، ثم إنَّ الحركةَ التي قام بها القوم ـ اجتماع السقيفة ـ تعتبر في غاية الذكاء بالمنظور التاريخي، إلا أنّها بالمنظور الإسلامي والرسالي تعتبر تصرف لا يليق بمن يسعى إلى تولّي منصب الخلافة ولا يقبله أصحاب العقول النيّرة، ذلك أنّهم حصروا أهل المدينة في زاويةٍ ضيّقةٍ وهي المبايعة بالحيلة، مما جعل الشقاق يدبُّ بين الصحابة على أمرٍ قد حسمه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته في مواقعَ كثيرةٍ وبتصريحاتٍ مختلفةٍ أهمّها ما حَدَثَ في حَجَّةِ الوداع وهو ما يسمى بـ(بيعة الغدير) التي تمَّ فيها مبايعة الحجيج لأمير المؤمنين عليه السلام بالإمرة على المؤمنين بنصٍ إلهيٍّ وبنصوصٍ نبويةٍ كثيرة.

ولذا حينما دبّ الخلاف بين بني هاشم والمهاجرين والأنصار حول الخلافة حاججهم بقوله: (أفكنتُ أدعُ رسولَ اللهِ في بيتهِ لم أدفنه، وأخرج أنازع الناسَ سلطانه؟)[1]، مما يدلّك على أهمية احترام الميّت، وهذا من أقلِّ الحقوقِ للمؤمن

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج١ ص١٦.

المعروف فكيف برسول الله ﷺ، وأنّ القضية بالنسبة لعلي عليه السلام محسومة، وإذا به يتفاجأ بتصرّفِ القومِ وما دَبَّروه تجاه هذه المسألة.

ثم إنه بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ نرى كل الأنظار تتجه إلى أمير المؤمنين عليه السلام باعتباره أبرز شخصية كما أسلفنا القول مع وجود عمه العباس بن عبد المطلب، وليس صحيحاً ما قاله الدكتور طه حسين حول هذا الأمر، حيث قال: (ولولا أنّ العبّاس أسلمَ بأخرة لفكّر في نفسه أن يرشّح نفسه خليفةً لابن أخيه فيتلقى عنهُ تراثهُ في القيام بشأن المسلمين، ولكنه نظر في الأمر فرأى ابن أخيه عليًّا أحق منه بوراثةِ هذا السلطان، لأنهُ ربيبُ النبيّ، وصاحب السابقة في الإسلام، وصاحب البلاء الحسن الممتاز في المشاهد كلها، ولأنَّ النبيّ كان يدعوه أخاه)[1]، وهذا حسب تصوّري افتراضٌ من الدكتور طه حسين غير معتمد على دليل، باعتبار أنَّ كِبَار الصحابةِ يعلمون أنَّ مسألةَ الخلافة ليست من شأنهم، بل هي متعلقةٌ بأمرِ الله عزّ وجلّ كما هو حال تزويج السيدة الزهراء عليها السلام[2] وغيرها من

(١) الفتنة الكبرى «علي وبنوه»، طه حسين، ج٢ ص١٧.

(٢) القول الجلي في فضائل علي، السيوطي، ص٢٦، فقد ورد عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ».

الأحداث التي كانت أمراً إلهياً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1].

عِلماً أنَّ العبّاس أقبل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ابسط يدك أبايعك، ولكن علياً أبى مخافةَ الفتنة، وما أتى ليبايع إلا لعلمهِ أنّه الأحقُّ ولم يكن في نفس العباس شيءٌ من ذلك، وكذلك أتى أبو سفيان زعيم قريش، أرادَ أن يبايع علياً بعد وفاةِ النبيّ صلى الله عليه وآله لا حباً له ولا رضى به ولا اعترافاً بمكانته الخاصّة من النبي صلى الله عليه وآله بل عصبيةً لبني عبد مناف[2]، ذلك أن أبا سفيان قال لأمير المؤمنين عليه السلام حينها: ابسط يدك لأبايعك فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجلاً، فزجره عليٌّ وقال: واللهِ ما أردتَ بهذا إلا الفِتْنَة، وإنك والله طالما بغيتَ للإسلامِ شَرًّا، لا حاجة لنا في نُصحك[3].

ونتسائل لماذا لم يبايع أبو سفيان رجلاً آخر غير علي عليه السلام؟

وللإجابة على ذلك نقول بأن المسألة واضحة، مما يدلل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٢) الفتنة الكبرى «علي وبنوه»، طه حسين، ج٢ ص١٧.
(٣) الغدير، الشيخ الأميني، ج٣ ص٢٥٤ (بتصرف).

على أحقيّة عليٍّ عليه السلام في هذا الأمر وإن كان غرضُ أبي سفيان إثارةَ الفتنة، ولذا تصرّف بعض الصحابة بسرعةِ البرق نظراً للترتيب المسبق لهذه المسألة، وذلك إيماناً منهم بأنه لو لم يقوموا بهذه العملية لانتهى الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا كان اجتماع السقيفة قبل دفنِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وأثناء قيام أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله، وإلا لو كان هناك خوف على الإسلام كما يدّعي أصحاب هذه المدرسة أو هذا الاتجاه لتمّ الالتحاق بجيش أسامةَ بن زيدٍ الذي أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بتجهيزه، والذي يعتبر قضية حساسة عند مدرسة الشورى، حيث إنهم تأولوا تأويلات غير منطقية ليس هنا محلها.

خلاصة تلك التأويلات إنقاذُ بعض الصحابةِ من بعض التُهم الموجّهةِ لَهُم، ولذا لن نسهب في هذه المسألة باعتبار أن التحليل في هذه المسألة يحتاج إلى استحضار قضايا وقرائن كثيرة لها مساس بقضيةِ اجتماع السقيفة، والتي في الوقت ذاته قد تحرفنا عن مسار البحث، مثل: أمر النبي صلى الله عليه وآله بتجهيز جيش أسامة بن زيد، حرق بيت فاطمة عليها السلام، الإمامة، حركة الردة، الأحداث التي جَرَتْ في سقيفة بني ساعدة والتي لها تفاصيل طويلة... الخ، إلا أن المسألة الأهم في ذلك أنَّ بني هاشم وبعض من له علاقة وطيدة بهم، لم يبايعوا إلا بعد وفاة السيدة الزهراء عليها السلام، أو على قول بعض المؤرخين أن أمير

المؤمنين عليه السلام أُكره على البيعة بعد أشهر، وأقرب دليل في أن السقيفة أو بيعة أبي بكر ذات تخطيط مسبق قول أمير المؤمنين عليه السلام حينما طلب منه عمر بن الخطاب البيعة: (احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردد عليك غداً)[1].

بعد أحداث السقيفة التي كانت نتائجها استلام أبي بكر زمام الخلافة ومن ثم عهِدَ إلى عمر بن الخطاب وفاءً لوقوفه معه في البيعة، ومن ثم أشار عمر إلى ستةٍ من الصحابة حين دنوّ أجله مرجحاً كفةً على أخرى، حيث كانت المحصلة النهائية من نصيب الأموي عثمان بن عفان الذي كان نهاية خلافته وسياسته ثورة عارمة من الأمصار أَوْدَتْ بقتله.

من وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وحتى مقتل عثمان كانت الحجاز تعيش الثقل السياسي والديني، مما يجعل أمير المؤمنين عليه السلام خلال هذه الفترة أن تكون لديه أطروحة جديدة في التعامل السياسي مع الخلافة، وكما أسلفنا القول بأنه ليس بصاحب مصالح شخصية ليتحيّن الفرص ويصطاد في الماء العكِر!! بل همّه الأول والأخير هو الحفاظ على بيضة الإسلام، ولأنه كذلك يحمل قضيةً عالمية، ومعلوم أنَّ الذين يحملون في تحرُّكهم السياسي والاجتماعي قضيةً ما، فإنهم

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج١ ص١٥.

يضحّون بالكثير من قضاياهم الشخصية من أجل الحفاظ على المبدأ الذي يريدون تحقيقهُ بطرقٍ وصورٍ شَتّى تتلاءم مع الظروف المُعاشة، وهذا ما حصل بالفعل فقد كان المستشار في المعضلات، وصاحب الرأي في المدلهمات، فقد وقف بجانب الخلفاء الثلاثة ناصحاً تارة ومعارضاً لبعض الأمور تارة أخرى، ولذا فكل مسألة يحار فيها الخليفة فإنه يلجأ إلى حَدَثِ السنّ الذي لم تكن الخلافة لتناسبه ولم تكن من نصيبه، مما حدا بالخليفة الثاني الاعتراف بفضله عليه السلام، وذلك بقوله: (لا أبقاني الله بعدك يا علي)، أو (لولا عليٌّ لهلكَ عُمر)[1].

ثم إن السياسة التي اتخذها عليٌّ عليه السلام تتمثل في مقولةٍ صدرت منه توضِّح مدى إدراكه للخطرِ المحدقِ الذي حلَّ بالأُمَّةِ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أعظم من تولّي أبي بكر الخلافة، ذلك أن حركة المرتدين في بعض الأمصار كانت تشكل خطراً على المدينة، ولذا كان الإمام عليه السلام بسلوكه الأخلاقي وحنكته السياسية محطَّ أنظار الخلفاء في كل مهمّة، وما أكثر الشواهد في ذلك، نقتصر على ما سنذكره، وهو: حينما أراد أبو بكر أن يغزو الروم استشار علي بن أبي طالب، فأشار أن يفعل، فقال: إنْ فعلتَ ظفرت[2].

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري ص٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩.

وكذلك نصحه لعثمان بن عفّان إبّان ثورةِ الأمصار ضده وضد الولاةِ الذين أوكلهم رقاب المسلمين، فقد بعث الحسنين عليهما السلام لإبعاد الثائرين عن عثمان وتهدئةِ الأمور، وذلك حتى لا يُتهم بالتحريض ضده، وخوفاً من التباس الكثير من الأمور على الصحابة، وما خاف منه عليه السلام قد وقع.

بعد أن أعطينا لمحةً سريعةً عن سياسةِ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إبّان ما يُسَمَّى بـ(الحُكْمِ الراشدي)، واستعرضنا أبرز الأمور دون الدخول في تفاصيل بعضها، نأتي لنتناول الأوضاع السياسية بعد مقتل عثمان واستلامه زمام الأمور (الخلافة)، وكيف تعامل معها وفق المبادئ التي صاغها لنفسه؟، وهي بصريح القول التطبيق الفعلي للمبادئ الإسلامية والمستقاة من القرآن الكريم والسنّة المطهرة أو التعاليم النبوية، ولعلَّ الذين تأوّلوا على غير بصيرةٍ من أمرهم في هذه الفترة من خلافتهِ عليه السلام كثيرون، والآراء والدراسات الواردة في سياسة الإمام عليه السلام لا تكادُ تُحصى رغم وجود اتفاق بين كثير من المؤرّخين القدماء والمعاصرين حول كثير من النتائج التي توصلوا إليها.

ولقراءةِ هذه الفترة التي تعتبر في غاية الحساسيّة عند بعضهم، يستلزم على من يتناول فترة خلافته عليه السلام أن يكون واعياً

إلى أشدّ درجة، وأن يستحضر أدوات البحث العلمي والموضوعي والمنهجي، ذلك لأنها تختلف اختلافاً كثيراً عن دراسةِ الوضعِ السياسي إبّان استلام الخلفاء الذين قبله زمام الأمور، وكما أسلفنا القول فإن قراءة هذا الجانب (السياسي) من حياة أمير المؤمنين عليه السلام يجب أن لا نعتبر شخصيته سياسية كما يتعامل معها البعض متناسياً الأدوار المنوطة به، كالدور الرسالي والإنساني والتربوي... الخ، لأنّ بعض المسائل تحتاج إلى استحضار وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام والتي سنأتي عليها إن شاء الله، وبعضها الآخر يعتمد على قراءة الأوضاع والملابسات المحيطة بالظروف التي عاشها مع تقديم الأولويّات المتعلقةِ بصالحِ الأمّة قبلَ كلِّ شيء، مما يعني أن بعض الأحداث تحتاج إلى قراءة تجزيئية وبعضها الآخر إلى قراءة كليّة، وذلك لربط تحركات أمير المؤمنين عليه السلام ببعضها البعض، لأنّ مبادئه لا تتغيّر بتغيُّر الظروف، بل إن سياسته لا تنفك عن مبادئه وأخلاقهِ مهما حصلَ من تغيُّر في الأجواء السائدة لفترة خلافته.

دعوني والتمسوا غيري:

التفّ الناس حول أمير المؤمنين عليه السلام لمبايعته بعد مقتل عثمان، فقال لهم: دعوني والتمسوا غيري، فإنّا مستقبلونَ أمراً

له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ لهُ القُلوب، ولا تثبت عليهِ العُقُول. وإنَّ الآفاقَ قَدْ أغامت، والمحجة قَدْ تَنَكّرَتْ. واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قولِ القائل وعَتْبِ العاتِب، وإن تركتموني فَأنَا كأحدكم، ولَعَلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيْتُموه أَمْرَكم، وأنا لكم وزيراً، خيرٌ لكم منّي أميراً[1].

والسؤال المطروح حول الكلام السابق:

لماذا لم يوافق الإمام عليه السلام على بيعة الناس؟

للإجابة على ذلك، ندرك أن الإمام عليه السلام من خلال كلامه السابق يريد من المبايعين أن يكونوا على وعيٍ تام بالأحداث القادمة حتى لا تلتبس عليهم الأمور، لأنه ليس كسابقِيه، باعتبار أن كثيراً من الأمور قد تبدّلت خصوصاً فترة خلافةِ عثمان، الذي خالف شروط المبايعة التي وافق عليها عندما بايعه عليه عبدالرحمن بن عوف وهي: كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الشيخين، وهذا صريح قوله: (الآفاق قد أغامت، والحجّة قد تنكّرت)، فمعَ إيماننا بأنَّ سيرة الشيخين

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح خطبة رقم ٩٢ ص١٣٦.

ليستْ حُجَّةً، إلا أنّهما كانا أفضل منه وإن كانت في سيرتهما السياسية والدينية بعض الهِنَات التي ليس هُنَا مَحلّها، وأنه سيحملهم على ما يعلم وما يريد، وليس ما يريدون هُمْ، وأن هناك أموراً كثيرةً تحتاجُ إلى إصلاحاتٍ جَذريّةٍ منها: السياسة القضائية، السياسة المالية، السياسة الإدارية... الخ. وهذا صريح قول عمر عند احتضاره واصفاً المرشحين الستة بقولهِ: (أما أنت يا زبير! فوعقٌ لَقِسٌ مؤمنُ الرِّضا، كافرُ الغَضَبْ، يوماً إنسان، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلَّتْ يومك تلاطم باليَعْفاء على مُدٍّ من شعير، وأما أنت يا طلحة: فلقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك بالكلمة التي قُلْتَها يوم أنزلت آية الحجاب، وأما أنتَ يا عليُّ: للهِ أنتَ لولا دعابةٌ فيكَ! أما والله لو ولّيتهم لتحملنّهم على الحقِّ الواضح، والمحجّةِ البيضاء، وأما أنت يا عثمان: هيهاً إليك! كأنّي بك قد قلّدَتْكَ قريشٌ هذا الأمر لحبّها إيّاك، فحملتَ بني أميّة وبني أبي معيط على رقابِ النّاس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عُصَابةٌ من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن)[1].

وبالتركيز على حياة أمير المؤمنين عليه السلام نرى أنه وضعَ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١ ص١٨٥، ١٨٦ (بتصرف).

مشروعاً إصلاحياً عظيماً، باعتبار أن فترة الخلفاء الثلاثة كثرت الفتوحات ودخل كثيرون في الإسلام، وهذا الكمُّ الهائل من المسلمين الجُدد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله محتاجون إلى التعاليم الواقعية للإسلام التي تعالج مشاكلهم الحياتية، وليس إسلاماً سطحياً همّهُ الصلاة والصيام والحج والزكاة فقط، أو الحفاظ على الطقوس الدينية!! وأمير المؤمنين عليه السلام شخصية تعيش الحدث كما هو بدون مماطلة ومجاملات، وهو الشخصية المعروفة التي لا تخاف في الله لومة لائم.

وهنا مسألة مهمّة تكاد تكون غامضة في تصريحاته عليه السلام وهي قوله: (واعلموا أَنَّي إِنْ أجبتكُم ركبتُ بكم ما أعلم، وَلَمْ أُصغِ إلى قولِ القائل وعتب العاتِب)، وهو في هذا الحديث يشير إلى الإمامة التي لا تقبل المساومات في قراءة الأحداث، ولا تخضع لتقديرات الآخرين، واللّغَطُ الذي جرى فيما بعد المبايعة هو عدم وعيُ كثيرٍ من الناس الذين بايعوه بهذه المسألة، وأنّهم لا يفرّقون بين الخلافة والإمامة!!

الفرق بين الخلافة والإمامة:

لم أشأ التحدث عن هذه المسألة باعتبار أنَّ حقيقتها أوسع من هذه الأسطر القليلة، ولكن!! أحببتُ أن أُعطي لمحةً موجزةً لما له صلة ببحثنا حول الفرق بين الخلافة والإمامة.

لا يوجد ثمّة شك في أنَّ مسألة (الخلافة/الإمامة) موجودتان عند كافة المسلمين، فهي تعني قيادة أمور المسلمين في أُمُور الدُّنيا والدين، إلا أنَّ الشيعة الإمامية تُضيفُ على القيادةِ أمرين آخرين هما: المرجعية الدينية والولاية على أمور المسلمين، فهم ـ الشيعة الإماميّة ـ يقولون بأن الإمامةَ جعلٌ إلهيٌ تحتويها العصمة عن كلِّ خطأٍ وزلل، وهذا ما لم يؤمن به أحدٌ من المدارسِ الإسلاميّة غير الشيعة، كذلك لم يقُل غير الشيعة بأنَّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين!! بل يعتبرونها فرعاً من فروع الدين.

وقد طَفَحَتْ كُتُبُ الشيعة في مناقشة هذه المسألة باعتبار أنَّ هناكَ تغييباً للمعنى الحقيقي لمفهوم الإمامة من خلال أعداءِ أهلِ البيت عليهم السلام في صدر الإسلام وما تلاه، وعدم بذلِ الجُهدِ من غير المؤمنين بمفهوم الإمامة الذي يقول به أتباع هذه المدرسة في الوقت الحاضر، اعتماداً على ما بثّه التاريخ المُغْرِض من فهمٍ خاطىءٍ حول المفهومِ القرآنيّ والنبوي للإمامة والخِلافة.

وقد حصلَ التفريقُ بين مفهوم الإمامةَ والخِلافة جرّاء عبثِ العابثين في تغيير مسيرة التاريخ تِجاهَ هذين المصطلحين، وتم حرفُ مسارِهما عن مفهومهما الحقيقيَيْن، وقد أخذتْ الخِلافةُ

معنىً مغايراً عن الطرحِ القرآني: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]، وكذلك جاءت محاولات إلى تغيير مفهوم المصطلح الآخر وهو: الإمامة: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[٢]، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل، ذلك أن المفهوم القرآني للإمام والخليفة يعني: وجود شخصية مرشّحَة من قِبَلِ الله عزّ وجلّ حاصلةً على مواصفات الكمال والقدرة على إدارة شؤون البشر وفقَ الضوابط الكونية، إضافة إلى ذلك لا بد من توفُّر بعض العناصر في هذه الشخصية كالعصمة والعدلِ والعِلم... الخ، وغيرها من الأمور المطروحة في كتب العقائد حول ما يتعلق بهذه المسألة التي يعتبرها الشيعة الإماميّة أُسُّ الإسلام.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

نبوءات رسول الله ﷺ

من الأحاديث التي أخبر بها النبي الأعظم ﷺ لعلي عليه السلام قوله: **(ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين)**[١].

وهذه نبوءة لا تحتاج إلى مداهنة أو مماطلة من شخصية كشخصية علي عليه السلام، فهو مأمورٌ بمقاتلةِ هذهِ الفئات بصفاتهم لا بأشخاصهم، أي: مهما توافرت الصفات التي ذكرها ﷺ في فئة من الناس، فعلى أمير المؤمنين عليه السلام بإعداد العُدّة، ذلك أن الشخصيات لا تهم أمير المؤمنين عليه السلام كما تهمّه الصفات المتوافرة في فئة من الناس، وهذا السلوك سلوك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ

(١) الغدير، الشيخ الأميني ج١٠ ص٤٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١ ص٢٠١ وج٦ ص١٣٠، موسوعة الإمام علي عليه السلام، الشيخ الريشهري ج٥ ص٢١.

فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، فالمطلوب في هذه الآية قتال الفئة التي تبغي، وليس الأشخاص بعينهم رغم أنه وصفهم بالمؤمنين.

التي عاشتها الدولة الإسلامية إبّان تلك الأحداث، إضافة إلى ذلك دراسة الشخصيات وتوجهاتها السياسية وذلك منذ إسلامهم وحتى هذا الحدث الذي أرّق أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أننا سنكتفي بوضع أهم الأحداث المتعلقة بسياسته عليه السلام لتتجلّى لنا حقيقة الأمر حيال قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، مستدلّين ببعض كلامه من نهج البلاغة الذي يعتبر مصدراً هاماً في مناقشة مثل هذه الأمور.

قتال الناكثين:

قبل الولوج في خلفيّة الأحداثِ المتعلقةِ بالناكثين، علينا التعريف برموز الناكثين، ذلك أن أبرز الشخصيات التي نكثت بيعة أمير المؤمنين عليه السلام هما: طلحة بن عبيد الله والزُبير بن العوّام[2]،

---

(١) سورة الحجرات ٩.

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني (٢٨ ق.هـ - ٣٦هـ)، أبو محمد، صحابي شجاع من الأجواد، وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد أحداً والخندق وسائر المشاهد، قُتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ودفن بالبصرية. (الأعلام، الزركلي، ج٣ ص٢٢٩. قال عنه الإمام علي عليه السلام: أدهى الناس وأسخاهم طلحة. (تاريخ من دفن =

وخلاصةُ خروجهم على أمير المؤمنين عليه السلام أنهما فقدا الامتيازات التي تحصّلوا عليها إبّان خلافة عثمان، فمن خلال الأموال التي تحصّل عليها طلحة على سبيل المثال أنّه ابتنى دوراً في كلٍّ من الكوفة والمدينة وغيرها من البلاد الإسلامية[1]، ورغم أنّه كان عثمانيّ الهوى إلا أنه لم ينقذ صاحبه من حركة الثوّار، وحينما قُتل عثمان وتمت البيعة لعلي عليه السلام توقع أنه سيحصل على ما كان يحصل عليه في فترة الخليفة السابق، فتعذر بالخروج للعمرة هو والزبير، فأخبرهما الإمام عليه السلام: ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث العهد. والتحقا بأمِّ المؤمنين عائشة التي كانت بمكّة المكرّمة إبّان الثورة على عثمان وقتله وقد فرحت لمقتل عثمان إلا أنها ادّعت المطالبة بدمهِ لا حباً في عثمان!! بل لكراهتها بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام.

= في العراق من الصحابة، الهاشمي، ٢٧٢، نقلاً عن الاستيعاب على هامش الإصابة ج٢ ص٢٢١).

الزبير بن العوّام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٨ ق.هـ - ٣٦هـ)، أبو عبد الله، الصحابي الشجاع، أول من سلَّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمّة النبي ﷺ وله ١٢ سنة، شهد بدراً وأحداً وغيرهما، جعله عمر في من يصلح للخلافة بعده. وكان موسراً، كثير المتاجر، خلّف أملاكاً كثيرة، كان طويل القامة. (الأعلام، الزركلي، ج٣ ص٤٣). كان ممن ثبت يوم أحد في الذّبِّ عن رسول ﷺ. (تاريخ من دفن في العراق من الصحابة، الهاشمي ص١٦٩).

(١) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٣٢.

شعار الناكثين:

كان شعار الناكثين شعاراً مطاطياً غير ثابت على كفّةٍ عند من يأوي إلى عقله للتفكير في هذا الأمر، حيث كان الشِّعَار المستعمل في ذلك، هو: (القصاص من قتلةِ عثمان)، وعجباً للمطالبين بدمِ عثمان، فأم المؤمنين عائشة كانت من المحرِّضينَ على قتلِ عُثمان بقولها: اقتلوا نعثلاً فقد كَفَرْ، وطلحة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالَبَ بدمه لأنه مظنته ولم يكن في القوم أحرصَ عليَّ منه، فأراد أن يغالط بما أُجلب فيه ليُلبس الأمر ويقع الشك. والزبير يقول: اقتلوه ـ أي عثمان ـ فقد بدّل دينكم، إن عثمان لجِيفَةٌ على الصراط غداً)[١].

والزبير كما يقول ابن أبي الحديد[٢]: (كان عبد الله بن الزبير هو الذي يصلّي بالناس في أيّام الجَمَل، لأنَّ طلحة والزبير تدافعا للصلاة، فأمرت عائشة عبدالله أن يُصلّي قطعاً لمنازعتهما، ومعلوم أن النزاع على التقدم في الصلاة سيلحقه التنازع في الخلافة، وهذا مصداق قوله عليه السلام: كل واحدٍ منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه دون صاحبه)[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج٢ ص١٦٦.
(٣) نهج البلاغة، الشريف الرضي، خطبة رقم ١٤٨ ص٢٠٦، تصنيف: صبحي الصالح.

ومع اعتبار أن حركة المعارضة (الناكثين) تعد أوّل معارضة وأوّل تحرّك ضد الإمام الشرعي وفق نظرية النص، فإنها لم تكن قائمة لأجل ذكرى عثمان ـ وإن كان هذا هو الشعار المرفوع ـ بقدر ما كانت موجهة ضد علي، ويخالف هذا المعنى أحد الباحثين[1] الذي التبسَ عليه الأمر كما يلتبس السراب على العطشان، فلو كان الذين شكّلوا المعارضة بعد بيعة الإمام مقتنعين بشعاراتهم، لَمَا تَرَيَّثوا حتى يُسكبَ دمُ الخليفة بمرأىً منهم ومسمع دون أَنْ يُحَرّكوا ساكناً!!

مع معرفة الإمام عليه السلام بتحركات أقطاب الناكثين، فقد كان لهم بالمرصاد، ولذا فإن سياسته في قتال الناكثين مبنيّة على أصول علمية تناولتها الكتب المختصة بالتفصيل ونحن نوجزها، فقد بدأ عليه السلام معهم بالحوار الذي لم يكونوا يستطيعون عليه، ولم يقووا على مواجهته، باعتبار أنه حينما وافق على بيعة الناس له أوضح لهم المسار الذي هو فيه، ويعلم بما سيتركه مقتل عثمان من فتنة لا تقلّ عن فتنة المرتدين بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد أوضحنا قوله عليه السلام في هذا الأمر: (فإنّا مستقبلونَ أمراً له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقومُ لهُ القلوب، ولا تثبت عليه العقول)، ولذا فهو مطمئنٌ من كلِّ حركةٍ قام بها، وبعد

(١) الفتنة، هشام جعيط، ص١٦٤.

الحوار والمجادلة وإلقاء الحجّةِ تلوَ الحُجّة عليهم، وتعريتهم من حركتهم المقبلين عليها، مؤثراً الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً، أرسل رسله إلى الكوفة ـ بعد استيلاء الناكثين على البصرة وقتْل الكثير من المسلمين فيها صبراً واحتساباً ـ مستنهضاً بعامله أبي موسى الأشعري الذي ما إن وصلت رسل الإمام عليه السلام لحثّهم على الاستعداد لمواجهة الناكثين، حتى بادر الأشعري بتثبيط الناس عن الاستعداد لمواجهة جيش البصرة (الناكثين)، إلا أن الأشعري لم يُفْلِح، وكأن أصابع الاتهام تقول إحدى أمرين: فإما أن يكون متواطئاً مع شبكة الناكثين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وإما حُبًّا في عدم التدخل في الفتنة حسب زعمه، والتي استجلت أنوارها وملابساتها من خلال تحرّكِ أمير المؤمنين عليه السلام لإخمادها حتى لا تكون الكوفة للأشعري.

إضافةً إلى ذلك فإن ما توقعه عليه السلام حصل بالفعل، إنها الحربُ التي تأكل الحرث والنسل فهو الحل الأخير الذي طرحه عليه السلام لمواجهة هذه الفتنة، وكما يقال: (آخر الدواء الكيّ)، ذلك أنّهُ عليه السلام طرح حلولاً كثيرة لم يقبلها حزب الناكثين وتفاصيل ذلك في كتاب نهج البلاغة المعروف، فما زال الإمام عليه السلام يبتعد عن الحرب قدر المستطاع، إلى درجة أنه طلب منهم تحكيم من كان في المدينة ولم يقبلوا.

وكأنَّ الزبير حريصٌ على القتال بالشعار الذي استعمله لحركته، وعَجَبي من بعضِ من يكتب في هذا المجال تبرئة الزبير وطلحة من حرصهما على القتال واتهام آخرين بإشعال فتيل الحرب كحكيم بن جبلة العبدي[١]، والذي وردت بحقه أحاديث إجلال من قبل العلماء الذين ترجموه في مصنّفاتهم، فقد ذكر صاحب الدرجات الرفيعة:

عدّهُ أبو عمرو بن عبد البر والفيروز أبادي وغيرهما من العلماء في الصحابة كان رجلاً صالحاً شجاعاً مذكوراً مطاعاً في قومهِ، وفيه يقول أمير المؤمنين على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد:

دعا حكيمٌ دعوةً سميعة نال بها المنزلة الرفيعة[٢]

ثم إنه ـ حكيم ـ ثارَ على الزبير وحزبه لأنهم سجنوا والي الإمام عثمان بن حنيف غدراً ونتفوا شعر لحيتهِ، ثم إنهُ رضي الله عنه كان من سادات عبد القيس وزهَّاد ربيعة ونسّاكها[٣]، وهو كذلك أحد الأشراف الأبطال، كان ذا دينٍ وتأله[٤].

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الحميد فقيهي، ج١ ص١٥٨.
(٢) الدرجات الرفيعة، السيد علي خان الشيرازي، ص٣٩١.
(٣) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٥٥.
(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣ ص٥٣١.

ولعلَّ ما ذكرناه في حق حكيم بن جبلة يكفي لرد مزاعم من قال إنه كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب.

ثم ليتَ الباحث قال بحق حكيم ما قال، أن يناقش ما فعل الزبير وطلحة حينما أحضروا خمسين رجلاً يشهدون بأن المنطقة التي نبحت بها كلاب الحوأب ليست بالحوأب، والتي وصفها المسعودي بأنها أوّلُ شهادةُ زورٍ أقيمت في الإسلام، وهم أول من قتل ظلماً في الإسلام وصبراً[١].

نعم!! ناقش هذه المسألة بكلمةٍ مرسلةٍ أطلقها يراعه دون إسهاب في التحقيق، وعدم تروٍّ في تناول المسألة من جميع جوانبها متهماً المسعودي بالافتراء، نقلاً عن أحد المصادر التي تؤيد ما يذهب إليه من رأي[٢].

وسبب ابتعاده عن تحقيق ذلك أنه سيرى نفسه ليس جديراً بتحقيق هذه المسألة، وذلك أنه اتهم هشام الكلبي الذي يروي عن أبي مخنف أنهما متروكان[٣]، وهذا ليس جديداً على مدّعي التحقيق باعتبار أن هذان الراويان رافضيان في نظره، إلا أنه لم يسعفنا بمصدرٍ واحدٍ على أنهما متروكان، ولعلّه اعتمد على

---

(١) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٥٥.

(٢) خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الحميد فقيهي، ج١ ص١٥١.

(٣) خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الحميد فقيهي، ج١ ص١٥١.

كلام الذهبي الذي رمى هشام بالترفض وعدم الثقة[١]، وإلا فهشام كما قال النجاشي بأنه مشهور بالفضل والعِلم وأحاديثه مشهورة، وكان يختص بمذهب أهل البيت عليهم السلام[٢]، وكذا أبو مخنف الذي ليس ببعيد عمّا ذكرناه بحق هشام، بأن عدم الأخذ عنه كونه شيعياً، مع العلم أن كثيراً من المؤرخين رووا عنه وذكروا له الكثير من أخباره[٣].

فإذا كان التحقيق والتأليف بهذه النظرة الطائفية الضيّقة، فلن نعتمد على ما يذكره فقيهي في كتابه هذا الذي نال به درجة الماجستير، وكان الأحرى به أن يكون منهجياً وموضوعياً في تناول القضايا وبعيداً عن التعصب.

ثم إننا لسنا متحاملين على أصحاب رسول الله ﷺ كطلحة والزبير وزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بل نقول للمخطئ أخطأت وللمحسن أحسنت، ثم لن نكونَ أحكَمَ من مواقف أمير المؤمنين وسيّد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أحزنه مقتل طلحة والزبير وأبّنهما بتأبينه الأخلاقي رغم الاختلاف معهما في الرأي وخروجهما عليه، إضافةً إلى ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٤ ص٣٠٤.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج٢٠ ص٣٣٦.

(٣) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى (أبومخنف)، ص٨ ـ ٩.

لم نعتمد بالجملة على أقوال المسعودي الذي اعتبره مفترياً على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله بل اعتمدنا على غيره من المؤرخين الذين وافقوا المسعودي وغيره في نقلهم تلك الأحداث.

ومع ما حصل من قتال راحت فيه الآلاف من الأنفس في كلا الجيشين، فإنه يقف محزوناً على جثةِ الزبير الذي كان معه في كثير من غزوات النبي صلى الله عليه وآله، وهذا يعطينا درساً أنهُ لا يُقَاتِلُ أشخاصاً بل يقاتل فئة تلبّستْ بلباسٍ غير الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ثم إنه لمّا أجلسوا طلحةَ بعد مقتلهِ قال: (اعزز علي أبا محمد أن أراكَ معفّراً تحت نجوم السماء وفي بَطْنِ هذا الوادي! أبعد جهادكَ في اللهِ، وذبِّك عن رسول الله صلى الله عليه وآله!)[1]، وقد كان الزبير على علم بما سيؤول إليه من فعل، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقوله: **(إنكَ تقاتلُ عليًّا وأنت ظالمٌ له)**[2]. ومع ما صدرَ من أمِّ المؤمنين عائشة وموقفها منه عليه السلام فإنا نراه يُرْجِعُهَا معزَّزَةً مكرَّمةً إلى بيتها في المدينة، وهذا السُّلوك الذي صدر من أمير المؤمنين عليه السلام لا يتمثل به سياسي، بل يتمثل به أصحاب المبادئ الذين يحملون بين جوانحهم رسالةً للإنسانيّة والدين، ويجسِّدون الشريعةَ في كلِّ تحركاتهم وسكناتهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١ ص٢٤٨.

(٢) الغدير، الشيخ الأميني ج١٠ ص٤٧.

إضافةً إلى ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ حينما ذكر خروج بعض أمّهات المؤمنين ضحكت عائشة فقال: **(انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ)** ثم التفتَ إلى عليٍّ فقال: **(إن ولّيتَ من أمرها شيئاً فارفق بها)**[١].

ولذا نراه عليه السلام ما انفك يشرحُ موقِفَهُ من الناكثين في كل ما قاموا به، حتى لا يتأثر من في جيشه بشعاراتٍ لا تمتُّ إلى الواقعِ بصلة.

الحرية السياسية:

حينما نضفي آيات الثناء والتمجيد على شخصية أمير المؤمنين عليه السلام فإنَّ ذلك مستلٌ من سلوكه الذي ما فارق القرآن الكريم ووصايا حبيبه ﷺ طرفةَ عينٍ أَبَداً، فإنَّهُ مع علمهِ بخروج طلحةَ والزبير عليه، فقد أعطاهما حريتهما السياسية في المعارضة أثناء خروجهما من المدينة، ولذا أخبرهما بنيّاتهما بقوله: (ما العمرةَ تريدانِ، فَحَلَفا له أنهما ما يريدان غير ذلك، فقال لهما: وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة)[٢]، باعتبار أنَّهُ لَمْ يصدُر شيء من قبلهما حينما كانا في المدينة حتى يحاربهما أو

---

(١) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٢٩، حديث رقم (٤٦١٠/٢٠٨).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٣٢ (بتصرف).

يحبسهما، ومع ذلك فما زال يتعامل معهما بكل احترام، إلا أن المسألة وصلت إلى حدّ تأليب النّاسِ عليه وهو الذي قد بايعهُ الناسُ بما فيهما طلحةَ والزُّبَيْر، ولذا نراه يوبخهما حينما خرجا وأم المؤمنين عائشة معهما، باعتبار أن أم المؤمنين عائشة وإن كانت غير راضية ببيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنّ ما شجّعها على الخروج هو تهييج الموقف من قبل المحيطين بها ومنهم: طلحة والزبير اللذان يريدانها غطاءً شرعياً لهما في حركتهما ضدَّ مركز الخِلافة في المدينة المنوّرة، ولذا يقول عليه السلام في ذلك: (فخرجوا يجرّون حُرْمَةَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كما تُجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعةَ وسمع لي بالبيعة طائعاً غير مُكْرَه)[1]، ثم إن ما يتعلق بأم المؤمنين عائشة فلربما مكثت في مكة المكرمة بعد مقتل عثمان وتولّي أمير المؤمنين عليه السلام أمور الناس.

ولذا نرى هذا السلوك وهو إعطاء الحرية السياسية غير متوفر في العصر الحاضر، باعتبار أن المعاصرين أصحاب

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، خطبة رقم ١٧٢ ص٢٤٧، تصنيف: صبحي الصالح.

توجهات سياسية صِرفة وليسوا أصحاب مبادئ وقيم منطلقة من جوهر الدين إلا ما ندر ويعاقِبون قبل صدور أي أمر من أي معارض أو مختلف معهم في أي قضية، مما يستدعي القول بأن الوعي السياسي غائب عن الأذهان، وما هو مستفحل هو: حب السيطرة والتسلط على رقاب الناس، وما خروج الإمام عليه السلام إلى حربِ الناكثينَ إلا حربٌ للفتنة التي اشتعلت، لأنه لو تركهما لما خَمَدَتْ الفتنة، ولاستُئصل كثيرٌ من حملة الفكر النيّر من أصحاب رسول الله ﷺ وأصحاب الإمام عليه السلام، ولغُيّرت الكثير من معالم الحركة الإسلامية على ما هي عليه من تغيّر، فكان لا بد من محاربة الإمام عليه السلام لها لاستئصال شأفتها.

وممن حظيَ باحترام رأيه وسلوكه، الذين رفضوا بيعة الإمام عليه السلام كثير، مثل: عبد الله بن عمر، سعد بن أبي وقّاص، أسامة بن زيد، زيد بن ثابت... وغيرهم[1].

لماذا الذهاب إلى الكوفة؟

لعلّ سؤالاً يطرحُ نفسه، وهو: لماذا خرجَ الإمامُ عليه السلام إلى حرب الناكثين في الكوفة، ولماذا لم يوجه جيشاً لهم من المدينة لمناصحتهم أو لمحاربتهم كما فعل هو عليه السلام؟

---

(١) الفتنة، هشام جعيط، ص١٦٢.

والإجابة على ذلك تستلزم الكثير من الأدلة ولعل أبرزها التالي:

١ ـ تجييش البصريين من قِبَلْ طلحةَ والزُّبير ومن معهما ضِدَّ الإمام عليه السلام وهو في المدينة، خصوصاً أن طلحة كما أسلفنا القول بأن له دُوراً ابتاعها إبّان خلافة عثمان، وكانت هي وقود الحرب وإلا لما قدر طلحة وغيره على دفع الحرب بهذه السرعة.

٢ ـ النقطة الأخرى بعد البصرة لحركة التجييش هي الكوفة، والكوفة معروفة بأنَّ خَراجَهَا عظيم، يَدُرُّ الكثير من الأموال على خزينة الدولة الإسلامية، فكان لا بد من الإمام التحرك نحو الكوفة واستعمال عاملها في تحقيق العدالة وإخماد الفتنة قبل وصول الناكثين إليها، إلا أن عامل الإمام عليه السلام أبا موسى الأشعري ثبّط الناس عن ذلك، ولعلّه حباً في استفراده بالكوفة وليس حباً منه بعدم الوقوع في الفتنة.

٣ ـ منطقة الكوفة لها خصائص من حيث المركزية، ومن حيث وجود الكثير من المدربين عسكرياً، فكان على الإمام عليه السلام استثمار هذه النقطة لصالحه قبل وصول طلحة والزبير إليها، إلا أن كثرة الحروب فكَّكَتْ ذلك الجيش إلى أحزابٍ وتيّاراتٍ فيما بعد.

٤ ـ تفادي عملية توحيد الشعار (القصاص من قتلة عثمان)، والذي بدوره قد يربط البصرة والكوفة والشام تحت هذا الشعار، وينضمُّ تحته الآلاف من مسلّحي هذه المناطق.

ويضيف الدكتور إبراهيم بيضون نقطتان مع عدم إيمانه بالنقطة الأولى التي ذكرناها آنفاً، وهما: تفادي تكريس الانقسام الواقع بقيام «دولة» معاوية في الشام، وتأمين بؤرة صالحة للمجتمع النموذج الذي توخى من خلاله التصدي لتحديات المرحلة[1].

نباح كلاب الحوأب:

يقول المسعودي: (وسار القومُ نحو البصرةِ في ستمائة راكبٍ، فانتهوا في الليلِ إلى ماءٍ لبني كِلاب يُعرفُ بالحوأب، عليهِ ناسٌ من بَنِي كِلاب، فَعَوَت كلابُهُم على الرَّكْبِ، فقالت عائشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لجملها: الحوأب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: رُدُّوني إلى حرم رسول الله ﷺ، لا حاجة لي في المسير، فقال الزبير: باللهِ ما هذا الحوأب، ولقد غَلَطَ فيما أخبركِ به، وكان

(١) الإمام علي بين رؤية «النهج» ورواية «التاريخ»، د. إبراهيم بيضون، ص١٠٩.

طلحة في ساقة الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب، وشهد معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم، فكان ذلك أوّل شهادة زورٍ أقيمت في الإسلام)[١].

يتضح لنا من الخبر السابق أن أم المؤمنين خالفت أمر رسول الله ﷺ لأنه قال ذات يوم يخاطب نسائه: (**ليت شعري أيتكن صاحبة الجَمَلِ الأدبَبْ تخرج فينبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت**)[٢].

والزوجةُ الوحيدة التي خرجت هي أم المؤمنين عائشة، وذلك من قبل طلحة والزبير اللذان جعلاها غطاءً شرعياً لأهدافهما الشخصية، ولذا حينما وصلت المحل المعهود ـ الحوأب ـ تراجعت عمَّا عَزمت عليه، لأنها أدركت الحقيقة التي أخبر بها النبي ﷺ، إضافةً إلى ذلك أنَّ القرآنَ الكريم أَمَرَهُنَّ ـ أزواج النبي ﷺ ـ بالإقرارِ في بيوتهن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولذا فإن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها زوج الرسول الأعظم ﷺ، حينما علمت بخروج طلحة والزبير وإخراجهما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: (ولولا ما نهانا

---

(١) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٥٥ (الحاشية).

الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيوت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوصِ به يا أمير المؤمنين خيراً...)[١].

وفي لفظٍ آخر: أن أم المؤمنين أمَّ سلمة رضي الله عنها قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: (سِر في حفظ الله وفي كنفه فواللهِ إنّكَ لعلى الحقِّ والحقُّ معك، ولولا أني أكره أن أعصي الله ورسوله فإنه أمرنا ﷺ أن نقرَّ في بيوتنا لسرتُ معك، ولكن والله لأُرْسِلَنَّ مَعَكَ من هو أفضل عندي وأعزُّ عليَّ من نفسي ابني عُمَر)[٢].

هناك من يذهب من الباحثين إلى أن دور أم سلمة فيما يُسمى بالفتنة لا أساس له من الصحة، إلا أن هؤلاء الباحثين لم يوضحوا لنا تلك الأدوار أو الشواهد التاريخية التي تجعل أم سلمة في منأى ومعزل عن هذه الأحداث، فهذه دعوى غير علمية، لأن حججهم لا تتعدى اتهام بعض المؤرخين بالتشيّع، أو وجود نقد لبعض مواقف الصحابة أو أي حجة أخرى.

بينما المنهج العلمي يفرض على الباحث أن يأتي بالشواهد ويناقشها مناقشة علمية بعيداً عن التحيّز إلى آراء واهية[٣].

---

(١) الدرجات الرفيعة، السيد علي خان، ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٢٩، حديث رقم (٤٦١١/٢٠٩).

(٣) سيرة أم المؤمنين أم سلمة (رض)، د. حصة الزيد، ص ٢٤١.

ثم إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سُئلت عن هذا الخروج من حيث إنه عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله أم رأيٌ رأته؟! قالت: (بل رأيٌ رأيته حينما قُتِلَ عثمان)[١]، وقد قالت في شأن خروجها: (وددتُ أني كنتُ ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأنّي لم أسر مسيري مع ابن الزبير)[٢].

ومن الطريف أن أحد الباحثين[٣] اعتمد على أقوالٍ واهيةٍ لا تصمد أمام الدليل الناجع، فقد اعتمد على قول عبدالحميد فقيهي الذي ناقشنا آراءه سَلَفاً، وعلى قولٍ آخر أورده وهو أن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله ليس فيه ما يدلُّ على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله عائشة، بل إن ما يفهم من الحديث هو مجرَّد تساؤل من النبي صلى الله عليه وآله، وأنَّ موقف عائشة رضي الله عنها حين مرّت بهذا الماء لا يعدو أن يكون ظناً في احتمال الرجوع كما جاء على لسانها، وهو ظنٌ لم يلتبس إلا يسيراً في نفسها ثم عاد هدفها من الخروج واضحاً كما ذُكرت بما عسى أن يجري على يديها الإصلاح.

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد العسكري، ج١ ص١٨٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٢٩، حديث رقم (٤٦٠٩/٢٠٧).

(٣) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص١٠٥ [مجلة الدرعية].

وعجيبٌ هذا الرأي الذي يخالف صريح القرآن الكريم ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]، والحقيقة إذا كانت الدراسات العليا بهذه الصورة وهذه الانحيازية نحو أضعف الآراء التي هي أوهن من بيت العنكبوت فعلى العقل السلام، يا ترى أين قوله بعدالة الصحابة التي أوردها في بحثه؟! وهذه ليست مجرّد صحابية وفقط، بل هي أفقه زوجة والمحدثة عن النبي ﷺ، ثم إن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، أتكون نبوءةٌ خانيةٌ من تعاليم؟ ثم هل تكون نبوءةٌ من أَجْلِ نباح كِلابٍ وفقط؟!. إن من يذهب إلى مثل هذه الآراء الواهية فإنه في تصوّري يقدح في كل ما حدَّث به رسول الله ﷺ من أحاديث ونبوءات... الخ.

ثم إن هناك عدّة قرائن ذكرناها في هذه الصفحات ونذكر أخرى غيرها، وهي:

١ ـ ارتباط الحديث (نباح كلاب الحوأب) بخروج أم المؤمنين عائشة مع طلحة والزبير ضد الإمام علي عليه السلام.

٢ ـ مناقشة بعض الصحابة العدول والتابعين لأم المؤمنين رضي الله عنها حول إخراجها الذي لا يقبله أي إنسان في حق عِرْضِ رسول الله ﷺ.

٣ ـ نصيحةُ أم المؤمنين أم سلمة لعائشة رضي الله عنها وموقفها من هذه

الأحداث، فقد أَدْلَتْ برأيها في هذه المسألة بكل صراحة ودون وجل[١].

٤ ـ لماذا لم يتم خروج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام كأم سلمة التي أرسلت ولدها، فيا ترى هل كنَّ معتزلات الإصلاح، أم أنهنَّ تأولنَ كلام الله عز وجل على غير الجادة؟ أم أن حالة الحرب التي يرونها تشتعل بين الصحابة العدول محل إعجاب لهنّ؟!

الحرب أم الإصلاح:

قد يقول قائل بأن خروج أصحاب الجمل كان لأجل الإصلاح، ولم يقاتلوا أحداً إلا حين اضطرّوا لذلك!!

ومع إيماننا التام بأن ذلك ليس هدف أصحاب الجمل باعتبار أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم بما ستؤول إليه الأمور وأنَّ القرائنَ لا تخدم الحجة القائلة بطلبِ الإصلاح بشهادة المصادر التي أوردناها، فلو كان الإصلاح كما يقول فلماذا لم يقيموا الحجّة على أمير المؤمنين في المدينة؟!

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد مرتضى العسكري، ج١ ص٤٠٤ ـ ٤٠٥، فقد ذكر السيد نص الرسالة التي بعثتها أم المؤمنين أم سلمة لعائشة، ولطولها لم نذكرها، واكتفينا بالقرائن وبعض الأحاديث التي أوردناها.

ولماذا لم يتخذ أصحاب الجمل أم المؤمنين شعاراً لهم في الحجاز، أو جلبها إلى المدينة؟! فلو قاموا بهذا فإنه سلوكٌ وتصرُّفٌ أقوى باعتبارها زوجة رسول الله ﷺ والمطيعون لها كثيرون من الصحابة.

ولماذا حينما سأل أبو الأسود الدؤلي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن مسيرها قالت: أطلب بدم عثمان، قال لها: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد، قالت: صدقت ولكنّهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئتُ أستنهض أهل البصرة لقتاله... الخ[1]، فيا ترى لماذا لم تستنهض أهل مكة، أو أهل المدينة؟!! ولماذا لم ترسل كتاباً لهم ليأتوا؟!

وكذلك لو كان قصد الناكثين الإصلاح، فلماذا يتم تأليب الناس ضد الإمام؟! ولماذا يُرفع فيها السيف ويُلغى دور الحوار في مثل هذه المسائل المصيرية؟! ثم كذلك لماذا يتم فيها التعدّي على والي الإمام في البصرة؟!، ولكن المسألة في الواقع: تأويل خاضع لمصلحة شخصية، بعيداً عن القضية المقدّسة المسمّاة بـ(الإصلاح)، لأن الإصلاح له آليات وأدوات غابت عن سلوك حركة المعارضة، والتي من الواجب التمثّل بها حتى لا تتعرض إلى الهتك كما حصل.

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد العسكري، ج١ ص١٨٦.

ولا بأس بالاستشهاد بقول أحد عُلماءُ السُنّة حول من رفع شعار (المطالبة بدم عثمان)، قال قاضي القضاة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحَنَفي: (وكان في عسكر عليٍّ عليه السلام ـ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان ـ من لَمْ يُعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم يقم عليه حجّة بما فَعَلَهُ، ومن في قلبه نِفاق لم يتمكّن من إظهاره كلّه)[1].

قول الحق أم التحامل على الصحابة؟

من خلال استعراضنا للأحداث التي تَلَتْ مقتل عثمان، قد يَفْهَمُ القارئ الكريم أن ذلك تحاملاً على صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله!! وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومن سار في ركبهم!!

والواقع خلاف هذا الرأي، بل إنَّ الغرضَ من ذلك هو توضيح جليّة الحال التي عاشها أولئك الصحابة الكرام، وتوضيح ملابسات التحرك الذي ساد المدينة بعد مقتل عثمان، مع عدم إنكارنا لفضائلهما التي لا ينكرها إلا معاندٌ أو مصاحب للجهل، فمواقفهما ـ طلحة والزبير ـ وذبّهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الحروب التي شهدوها تشهد بمكانتهما العظيمة، إلا أنهما طرأت عليهما هذه الحالة التي قلَّبَت الأمور رأساً على عَقِبْ،

(١) شرح الطحاوية، صدر الدين الحنفي، ص٤٩٣ ـ ٤٩٤.

وخيرُ دليلٍ أقوالُ أميرِ المؤمنين عليه السلام أثناء وقوفه على جثتيهما بعد قتلهما، وعلى من أراد ذلك فليراجع المصادر التي تحدثت عن غزوات الرسول ﷺ وحروبه.

عدالة الصحابة:

يُقحمُ بعض الباحثين مسألة عدالة الصحابة حينما يبحث مثل هذه المواضيع التي ينشبُ فيها خِلافٌ سِلْمِيٌ أو مُسَلَّحٌ بين بعض الصحابة، لذا يقول أحد الباحثين حول هذا الأمر: (ذلك أن عدالة الصحابة ـ كما يقول الخطيب البغدادي ـ ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم،... ثم يقول: فلا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطّلع على بواطنهم إلى تعديل أحدٍ من الخلْق لهم)[1].

ويا ليتَ أنه لم يقحم عدالة الصحابة في مثل هذه المسائل، لأنَّ هذه الدعوى باطلةٌ من أساسها لأسباب كثيرة، منها:

١ ـ لو كان الصحابة عدول لما وقع القتلُ فضلاً عن الخِلاف الذي جرى بينهم.

---

(١) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص٩٢ ـ ٩٣، (مجلة الدرعية).

٢ ـ وجود أحاديث كثيرة وصحيحة تنص على اتّباعُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في جميع الأحوال، ولذا تُقحم في مثل هذه المسائل التاريخية.

٣ ـ الشعارات التي رفعها الناكثون ليست بذات مصداقية، ولذا يتم الدفاع عنها تحت عناوين عِدَّة، ومنها: (عدالة الصحابة) أو (الاجتهاد الخاطئ) أو (النيل من قتلة عثمان) أو أي عنوان آخر.

٤ ـ تَحَقُّقْ الكثير من نبوءات النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وقد ذكرناها في محلّها.

٥ ـ التقديس غير المقنن للصحابة كلّهم، مع أنّهم محل احترام وتقدير المسلمين.

٦ ـ وغيرها من الأسباب التي قد يطول المقام بذكرها.

إضافة إلى ما ذكر فإن الدكتور وقع في النقض دون أن يشعر، فإنه بعد ذكره عدالة الصحابة التي هي من تعديل الله لهم، يستدرك قائلاً: (فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل بسقوط عدالته)[1].

---

(١) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص٩٣، (مجلة الدرعية).

وما حصل من بعض الصحابة ومنهم أصحاب الجمل لم يكونوا متأولين أو مشتبهين، باعتبار أن أمير المؤمنين عليه السلام أوضح لهم مقاصده منذ بداية الأمر، ورسائله وكتبه لهم مبثوثة في كتب المؤرخين والمحدثين، وهي واضحةٌ كل الوضوح ليس فيها لَبْسٌ ولا اشتباه، وقد أوردنا بعضها في هذه الصفحات، ثم إذا كان هذا الصحابي أو ذاك معدَّل من قِبل الله عز وجل فكيف يجوز عليه قصد المعصية؟!

إضافة إلى أنه طَعَنَ في من روى هذه الأخبار، وطعنه مأخوذ من مصدر اعتمد عليه وهو عبد الحميد فقيهي الذي استشهدنا ببعض آرائه سَلَفاً، فقد طعنَ في نصرِ بن مُزَاحِم المنقري وأبو مَخْنَف وهشام الكَلْبي واليعقوبي[1]، ولذا لَنْ نُكرِّر ما ذكرناه، باعتبارِ أنَّ تضعيفهُ لَهُم بِحُجَّةِ أنهم شيعة أو رافضة كما أحب أن يَصِفَهُم، مع العِلْمِ أنَّ نَصْرِ بن مُزَاحِمْ حَصَلَ على توثيقِ بعضِ أعلامِ السُّنَّة كابنِ حبّانٍ مثلاً، وكذلك قال في حق كتابه (وقعة صفين) العلامة عبد السلام هارون: (ومهما يَكُنْ فإن الناظر في كتابهِ هذا يَلْمَسُ هدوءَ المُؤَرِّخ الذي لا تستفزّهُ العَصَبيّة

(١) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص٩٧ ـ ١٠٠، (مجلة الدرعية).

إلى هواه، إلا في القليل الذي لا يستطيع مِنْهُ إفلاتاً، فهو حين يذكرُ مثالب معاوية لا يُخفي مطاعِنَ الأعداءِ في عليّ)[١].

أما عن تشكيكه في كتاب الإمامة والسياسة[٢] فلا شأنَ لنا بطعنهِ فيه، ذلك أنَّ الأخبار المرويَّة في قضيةِ الجَمَل ذَكَرَهَا مؤرِّخونَ آخرون كُثُر غير كتاب الإمامة والسياسة.

ثم يأتي الدُّكتور على أمرٍ لا يستحق المناقشة، ولكن لا بأس بالتعرّضِ له على سبيلِ الإيجاز وهو قوله: (وقبل أن نترك هذه القضية نشير إلى ثمة حديثاً يروى عن النبي ﷺ من غير طريقٍ عن عليٍّ وأبي سعيد وأبي أيوب، أن رسولَ الله ﷺ أَمَرَ عَلياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد فسّروا الناكثين بأصحابِ الجمل، والقاسطين بأهل الشام، والمارقين بالخوارج، ولكن الحديث من أساسه ضعيفٌ كما يرى ابنُ كثيرٍ وغيره، وعندئذٍ فلا وجهَ للاعتمادِ عليه، والأخذِ به، دَعْ عنكَ النظر في تفسير ألفاظه، وتطبيقها على الوقائع التاريخية)[٣].

---

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص (و).

(٢) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص١٠١، (مجلة الدرعية).

(٣) حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي عليه السلام وعائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم عام الجمل، د. محمد إبراهيم أبا الخيل، ص١٠٣، (مجلة الدرعية).

والقارئ الفطن لا يمكنه قبول مثل هذا الكلام، وذلك لعدَّةِ أسبابٍ، منها:

١ ـ أن الدكتور لم يُوضِّح وجهَ الضعفِ في هذا الحديث لا بالنقل ولا بالبحث، سوى إيعاز ذلك إلى ابن كثير وغيره.

٢ ـ إنَّ الباحث المنصف لا يقبل مثل هذا الكلام، لأنَّ الدكتور عَنْوَنَ بحثه هذا بـ(دراسة تاريخية تحليلية على ضوء الروايات الصحيحة) فأين الدراسة لهذه المرويات الضعيفة؟ فهذه دعوى وعلى المدّعي البيّنة.

٣ ـ وَصَفَ في مقدمةِ بحثه هذا أن من ذهب إلى هذا المجال في اتهام الصحابة إنما يذهب طبقاً لما يناسب توجهه وفكره وهدفه، وها نحن نرى الدكتور يسعى بكل ما أوتي من قوّة لدحض رواية دون مناقشتها مناقشة علمية، وذلك وفقاً لما يناسب توجهه وفكره وهدفه، وغابت عنّا تلك الدراسة التحليلية التي يزعمها.

٤ ـ إذا كان تناول الدّكتور لهذه الرواية بهذه الطريقة، فيا ترى أين الناكثين والقاسطين والمارقين الذي قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام؟! لأن في هذا تحقق نبوءة النبي ﷺ، ونحن

لسنا على استعداد لتلميع سيرة إنسان ما في مقابلها تكذيب نبوءة النبي صلى الله عليه وآله التي تحققت بانطباق المواصفات على هذه الفرق الثلاث، ناهيك عن الأحاديث والرسائل والقرائن التي تثبت بأن هذا الحديث صحيح.

٥ ـ قال الإمام علي عليه السلام للحسنين عليهما السلام وهو ذاهب إلى قتال الناكثين: (ما لكما تحنّانِ حنينَ الجارية، والله لقد ضربتُ هذا الأمرَ ظهراً لبطنٍ فما وجدتُ بُدًّا من قِتَالِ القومِ أو الكُفْر بما أُنزلَ على محمد صلى الله عليه وآله)[١].

هل حضر واقعة الجمل أحدٌ من الصحابة؟

يستشهدُ بعضُ المُؤَرِّخينَ والباحثينَ بمقولةٍ مرويّة عن الشعبي الذي يُقْسِم أنه لم يكن في الجمل أكثر من أربعة من الصحابة في الجانبين: علي وطلحة والزبير وعمّار[٢].

وهذا رأيٌ ليس له نصيبٌ من الصحة، باعتبار أنَّ الصَّحَابة الذين شاركوا مع أمير المؤمنين عليه السلام في حربِ الجملِ

---

(١) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٢٤ ـ ١٢٥، حديث رقم (٤٥٩٧/ ١٩٥).

(٢) الفتنة، هشام جعيط ص١٧٦، نقلاً عن أنساب الأشراف٣/ ٢٦٧ وتاريخ خليفة ١/ ١٦٦.

كثيرون، ثم لا يُعقل أن تنشبَ حَرْبٌ بين أصحاب رسول الله ﷺ ولا يكون فيها إلا هؤلاء الأربعة!! ومن الذين حضروا التالية أسماؤهم:

١ ـ جارية بن قدامة السعدي.

٢ ـ زيد بن صوحان العبدي.

٣ ـ سيحان بن صوحان العبدي.

٤ ـ عدي بن حاتم الطائي.

٥ ـ هند بن أبي هالة التميمي.

وشخصيات كثيرة من الصحابة ذكرها علي بن الحسين الخطيب في كتابه (تاريخ من دُفن في العراق من الصحابة).

قتال القاسطين:

هُمُ الفئةُ الثانية التي أخبر بها النبي الأعظم ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتالها، وهم معاوية وأصحابه في الشام، وخلاصةُ ذلك أنه بعد فراغِ الإمام عليه السلام من قتال الناكثين أو ما يسمى بحرب الجمل وجّه رسولَهُ إلى معاوية بأن يأخذ منه البيعة، وكان هذا الأمرُ متوقعاً من قِبَلِ معاويةَ الذي ربما كان في قرارةِ نفسهِ أنَّ الأمر سيكونُ له بعد مقتلِ عثمانٍ في ولايته للشام أو يُفسد الأمر على الإمام عليه السلام، ولم يتَفاجَأ بانثيال الناس

على عليّ عليه السلام للبيعة، باعتبارها قطب الرحى ومركز الأحداث، إلا أن هذا ولّدَ مشكلةً جديدةً لدى الطرفين أمير المؤمنين عليه السلام من جهة ومعاوية من جهة أخرى، كلٌّ منهم يرفض أن يُعطي الآخر ما يريد، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام وسياسته الإصلاحية تقتضي القضاء على الفسادِ المالي والإداري وكل ما هو خلافُ الإسلام، ويرى أن معاوية لا يَصْلُح للولاية حتى ليومين.

ولا بأس بنقل بعض الأخبار عن معاوية على النحو التالي للتعريف بشخصيته على سبيل الإيجاز:

١ ـ قولُ أحمدِ بن حنبل عن معاوية: (لم يكن أحقُّ بالخلافةِ في زمان عليٍّ من علي).

٢ ـ قول أحمد بن حنبل: (أن علياً كان كثيرَ الأعداءِ، ففتَّشَ له أعداؤهُ عَيْباً فلم يجدوا، فجاؤوا إلى رجلٍ قد حارَبَهُ وقاتله، فأطْرَوْهُ كيداً منهم له)[١].

فقد حاجَجَ أمير المؤمنين عليه السلام معاويةَ وأقام الأَدِلَّةَ والبراهين عليه بوجوب البيعة، ومن أَدِلَّةِ ذلك قولُهُ عليه السلام في كتابٍ أرسله له: (إنه بايعني القومُ الذينَ بايعوا أبا بكرٍ وعمرَ وعُثْمان على ما بايعوهم عليه... الخ)[٢]. إلا أنَّ معاوية رفض

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١٤ ص٣٥.

كُلَّ أدلَّةَ الإمام، وجعل يماطل برسائله التي بُعثت له، عِلْمَاً أنه طلب من الإمام عليه السلام أن يولّيهِ الشام ومصر وخراجهما له عليه السلام، فَرَفَضَ الإمامُ هذا العرض وغيره.

بعد أن استنفذت حُجَج معاوية قواها وانتهت المماطلة التي أراد من خِلالِهَا أن يستفيد من الوقت فقط، طرحَ شِعَاراً آخر يخرجه من المأزق الذي وقع فيه، والشعارُ هو: (المطالبة بَدَمِ عثمان) ولم يُطْرَح هذا الشعار إلا بعد أن عَبَّأ نفوسَ الشاميين بأنَّ علياً عليه السلام هو القاتلُ الحقيقي لِعثمان وأنه يتستر على قاتليه في الوقت ذاته، فما كان من الإمام عليه السلام إلا الإجابة على هذه الشبهة والإشاعة بكتب ورسائل كثيرة، وأثبت بصورةٍ قويةٍ أن المتهم في قتل عثمان معاوية لا غيرُه، وهذا ليس أسلوب المراوغة السياسية كما يَفْهَمُ البعض، بل لأن أمير المؤمنين عليه السلام لا يطرح أوراقه دفعةً واحدة!! بل يجعلها لحينها، ولذا نراه يجيب على هذه المسألة حينما تم طرحها كشعارٍ يتستر خلفه معاوية، حيث قال عليه السلام: (ثم لم تكن أشدّ مِنْكَ حَسَداً لابن عَمِّكَ عثمان، نَشَرْتَ مقابحهُ وطويتَ محاسِنَهُ وطعنتَ في فِقْهِهِ، ثم في دينهِ، ثم في سيرتهِ، ثم في عقلهِ، وأغريتَ به السفهاءَ من أصحابك وشيعتك، حتى قتلوهُ بمحضرٍ منكَ، لا تدفعُ عنهُ بلسانٍ ولا يد)[1]، قال الشاعر:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج١٥ ص١٨٦.

لا ألفيَنَّكَ بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا[١]

وقد أكّد أَحَدُ الدارسينَ ذلك في وصفه هذه الأحداث بقوله:

(فاتخذَ معاوية رضي الله عنه من قضيةِ قميصِ عثمان ومن رسالةِ نائلة ليزيد من تصلّبهِ، تجاهَ بيعته لأمير المؤمنين علي عليه السلام. بل وزاد على ذلك بأن نصَّب نفسه ولياً لعثمان ومطالباً بدمه بصفتهِ أحدُ أبناء عمومته، مع أن معاوية رضي الله عنه كان يعرف مسبقاً أن في عمله هذا تحدٍّ واضح للسُلْطة المركزية التي من واجبها وحْدَها فقط القيام بمهمة القِصَاص من قتلة عثمان رضي الله عنه إن عُرفوا)[٢].

فالإمام يعرف من هو معاوية معرفةً لا تحيدُ عن الواقع الملموس، ويعلمُ مدى ما تكنّه سريرته من نوايا سيئة غرضها الإطاحة بخلافةِ الإمام عليه السلام أو إثارة التشويش ضده لتختلط المفاهيم التي يريد تحقيقها أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا فإن معاوية استمرّ في رفع شعار أصحاب الجمل وهو (المطالبة بدم عثمان)، وهذا ما حصل حيث ترسّخت هذه الفكرة في عقول الشاميين، باعتبار أن القاتل هو عليٌّ لا غيره، وأنَّ هذا الشِّعار الذي رفعه معاوية قد رفعه من كان قبله، ومع ذلك نرى الإمام

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ١٥٩.

(٢) خلافة معاوية بن أبي سفيان، د. عمر سليمان العقيلي، ص٣١.

حذّر معاوية أكثر من مرّةٍ ونصحه، وقد أكثر عليه السلام من إرسال الرسائل والكتب إليه وذلك لإبعادِ شَبَحِ الحرب، وعدم إعطاءه فرصةً إلى اللقاء المُسَلّح الذي لم يكن عليه السلام من مريديه، إلا أنه في نهاية المطاف اضْطَرَّ إلى طَرْحِ هذا الحل بعد أن وجد المكابرةَ من قِبَل معاوية ظاهرةً لِلْعَيَان، وسببُ الابتعادِ عن الحرب هو إبعاد ما أسماهم بالسفهاء عن قتلٍ ليس لهم فيه ناقةٌ ولا جَمَل ولا اختيار.

ومع إيمان الإمام عليه السلام بسياسته الإصلاحية فإنه وضع أُسُسَاً لهذه الحرب، ونقصد بالأُسُسِ هي الضوابطِ الإنسانيّةِ والأخلاقيّةِ والرساليّة التي يتمثل بها أمير المؤمنين عليه السلام في سُلُوكِه طيلةَ حياته، كان ينصح أصحابه في كل حرب بقوله: (لا تُقاتِلوا القومَ حتى يبدؤوكم، فهي حُجَّةٌ أخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم، فلا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تجهزوا على جريحٍ ولا تكشفوا عورة، ولا تُمَثِّلُوا بقتيل... الخ)[1].

ومن أخلاقه عليه السلام في الحرب أنه لمَا منَعَ جيشُ معاوية الماء عن جيشه اشتبك جيشه عليه السلام مع جيش معاوية للحصول على الماء، ولما صار الماء تحت سيطرةِ جيشِ الإمام عليه السلام قالوا: واللهِ لا نسقيهم، فأرسل الإمام عليه السلام إلى أصحابه بقوله:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٤ ص٢٦.

(خذوا من الماء قدر حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم وخَلُّوا بينهم وبين الماء، فإن اللهَ قد نَصَركُم ببغيهم وظُلمهم)[1].

نفهم من كلامه عليه السلام آنفَ الذِّكرِ أنه يريد أن يُقَلِّلَ قدر الإمكان من الضحايا البشريّة في هذه الحرب الطاحنة، إلا أن معاوية الذي تلبّس بلباس الإسلام في العام الثامن من الهجرة (عام الفتح)، فإنه ما زال على عصبيته الجاهلية مؤثراً الدنيا على الآخرة، وقد اختار الحرب على السِّلْم، حيث تترَّسَ وتدرَّع بجماجم جنده الذين ثبّت في عقولهم بأن من يقاتلون هو قاتلُ الخليفة عثمان، وذلك ليحولوا بينه وبين سيوف الحق.

ومع اشتباكِ الأسنّةِ والرِّماحِ بين الجيشين، والذي كادت تنكسرُ فيه شوكةُ معاوية إلى أبد الآبدين، نرى ثمة خُطّة دبّرها المستشارُ الأول لمعاوية عمرو بن العاص حينما شارف جيش معاوية على الهلاك، فقد نَصَحَ ابنُ العاص معاويةَ أن يرفع شعاراً أنجعَ من الشعار الذي من أجلهِ قامت هذه الحرب، وذلك ليخلّص معاوية من جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وليفوز بالولاية على مصر كما وعدهُ صاحبهُ، كان الشِّعَارُ هذه المَرَّة: رَفْعُ المصاحف على الأسنّة طَلَبَاً للتحكيم وِفْقَ كتابِ

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص١٦٢.

اللهِ ﷻ[١]، والغاية ليست كذلك بل لإيقاف القتال حفاظاً على معاوية، مما أدّى إلى اختلافِ جيشِ أمير المؤمنين عليه السلام وانقسامه إلى قسمين الأول منه: مؤيدون في مواصلة القتال ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني منه: المنصاعين لهذا الشعار ومنهم الأشعث بن قيس الكندي وجزء كبير من قبيلته، وقد شرح عليه السلام مغزى هذه الحركة وأنّها خُدْعَة وشرح لهم ذلك بقوله: (عِبَادَ اللهِ، إني أَحَقُّ من أجاب إلى كتابِ اللهِ، ولكنَّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دِيْنٍ ولا قُرآن، إني أَعْرَفُ بهم منكم، صَحِبْتُهُم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شَرَّ أطفالٍ وشرَّ رِجَال. إنها كلمةُ حَقٍّ يرادُ بها باطل. إنهما والله ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة. أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعةً واحدة، فقد بلغ الحقُّ مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا)[٢].

---

(١) يرى جعيط في كتابه الفتنة ص٢٣٢: أن هذا اكتشاف كبير وليس مكيدة فظة، على اعتبار أن الذي طلب السِلمَ هو الأشعث الذي كان في جيش الإمام عليه السلام، وكم هي مغالطة في تحليل مثل هذه الأحداث، فالقارئ لحياة الأشعث يعرف مدى سياسته في البحث عن مصالحه.

(٢) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص٤٨٩. وعجباً من قول جعيط في كتابه الفتنة ص٢٣٩ الذي يرى أن الإمام عليه السلام كان مؤيداً لوقف المعركة، ولم يكن هناك انقسام حول وقف المعارك في جيشه عليه السلام، =

نلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام قد شرح لهم ماذا تعني هذه الحركة، وماذا يعني هذا الشعار، إلا أنه للأسف توجه له زهاء عشرينَ ألفاً وطالبوه بالامتثال لمطالب معاوية، وقالوا له: (يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيتَ لَهُ، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عَفَّان، فواللهِ لنفعلنَّها إن لم تجبهم)[١].

وحصل ما حصل من أمر التحكيم الذي خُدع فيه أبو موسى الأشعري[٢]، وفي الواقع رغم أنها خدعة إلا أنها مسألة قد تناسب توجهات الأشعري، لأن الأشعري طرح الاثنين وأمر بالشُورَى بين المسلمين من جديد، ومعلومٌ أن الأشعري هو الذي ثبّط الناس في الكوفة عن مساندة أمير المؤمنين عليه السلام في حربِ البصرة (الجمل)، وقد شرحنا ذلك آنفاً في حرب الناكثين.

وليس باستطاعة أمير المؤمنين عليه السلام مواصلة الحربِ بعد هذا الانقسام، والذي أدّى إلى خَلْقِ أعداءٍ جُدَد يشكّلون خطراً

= بل كان هناك شبه إجماع. ولم يكن ثمة ضغط شديد على علي من جهة القرّاء!! ولعلّ قوله عليه السلام آنف الذكر يعتبر فيصلاً في مثل هذه الآراء التي يطرحها جعيط وأمثاله، وإن كان يرى أن نهج البلاغة موضوع برمّته.

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢ ص ٢١٠ ـ ٢١٢.

أعظم من خَطَرِ معاويةَ وحِزْبَهُ، أولئك هم (المارقون/ الخوارج)، وهذا مما ساعد معاوية على التقاط أنفاسه، وتنظيم جيشه من جديدٍ أثناء انشغال الإمام عليه السلام بـ(حَرْبِ الخوارج)، وأوضح لهم مدى الفارق بينه وبين معاوية بقوله: (والله ما معاويةُ بأدهى مِنّي، ولكنَّهُ يغدرُ ويفجر. ولولا كراهية الغدر لَكُنْتُ مِنْ أدهى الناس، ولكن كل غُدَرةٍ فُجْرَة، وكلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَة. ولكلِّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يوم القيامة. والله ما أُستغفلُ بالمكيدة، ولا أُستغمزُ بالشديدة)[1].

الفئة الباغية:

كثيرٌ من الباحثين يلوّحون بأقلامهم لحرفِ مسارِ بعضِ المفاهيم التي نصَّ عليها القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة، وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في قتال الناكثين، ونواصلُ الطرح في هذا القسم.

حينما يذكر القرآن الكريم ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ فإنا نربط هذه الآية بحديث النبي ﷺ في حقِّ الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه **(يا عمّار تقتلك الفئة الباغية)**[2]، فرغم صحة صدور

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح، ص٣١٨ كلمة رقم (٢٠٠).

(٢) وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص٣٤٣، المستدرك على الصحيحين، =

هذا الحديث من النبي ﷺ فإن كثيراً من أعلام الأمّة ومحققيها صححوه كذلك، وإليك قول بعضهم:

١ ـ قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوّة، وفضيلةٌ ظاهرةٌ لِعَلِيٍّ وعَمّار، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مُصيباً في حروبه[١]. وقال أيضاً: دلَّ الحديث على أن علياً كان المصيب في تلك الحرب لأن أصحاب معاوية قتلوه[٢].

٢ ـ قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم[٣]. وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قتله أهلُ الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به[٤].

٣ ـ قال ابن تيمية: وهذا يدلُّ على صحة إمامة عليٍّ ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنّة، والداعي

= النيسابوري، ج٣ ص٤٣٥ حديث رقم (٥٦٥٧/ ١٢٥٥)، السيرة النبوية، ابن هشام، ج٢ ص٤٩٧.

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١ ص٤٥٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣ ص٧٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٦ ص٢٣٩.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧ ص٢٩٦.

إلى مقاتلته داعٍ إلى النار[١]. وقال أيضاً مع أن علياً أولى بالحقِّ ممن فارقه، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية ـ كما جاءت به النصوص ـ فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقرّ بالحق كلّه، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم[٢].

٤ ـ قول قاضي القضاة علي بن علي بن محمد بن أبي العزِّ الحنفي (ت ٧٩٢ هـ) حيث قال: (لما قُتِلَ عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة)، وقال كذلك: (فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام)، وقال كذلك: (وعليٌ عليه السلام هو الخليفةُ الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكونوا مجتمعين عليه)[٣].

ورغم صِحَةِ هذا الحديث وتواتره، إلا أن بعضهم يطرح مسألةً أخرى لا تكاد تناسب ما طرحَهُ هؤلاء الأعلام السالف

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤ ص٤٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤ ص٤٩٤ ـ ٤٥٠.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين الحنفي، ص٤٩٢ ـ ٤٩٤.

قولهم في فهم هذا الحديث، وهو أن الذين قاتلوا الإمام علي عليه السلام متأولون ومجتهدون فلهم أجرٌ واحد حيث بَانَ لهم الخطأ، وهذه المسألة تُعْطي انطباعاً آخر وهو: أن ما وقع في حروبِ الإمام عليه السلام كُلُّهُ خَاضِعٌ للاجتهاد والرأي، بينما صريح قول النبي صلى الله عليه وآله أوضح من الشمس في رابعة النهار: **(ما لَهُم ولِعَمَّار، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونَهُ إلى النّار)**[1]، وكذا قوله صلى الله عليه وآله: **(إن ابن سميّة لم يخيّر بين أمرين قط إلا اختار أرشدهما ـ يعني عماراً ـ فالزموا سَمْتَهُ)**[2].

فمقتل عمّار يعتبر فيصلاً في هذه القضية التي حَسَمَتْ رأي كل مُشَكِّكٍ وكل مَتَّبعٍ لهواه، ولا حظَّ للمتأولين والمشككين في هذه المسألة، خصوصاً مع ما ذكرنا من أحاديث في حقِّ عَمَّار.

ثم ما أعجبُ منه قول بعض المؤرخين والباحثين الذين أوقفوا سلوك ورأي كثير من الصحابة على عمّار فيما أسموه بالفتنة، ولم يوقفوه على موقف أمير المؤمنين عليه السلام، فإني أُلاحظُ

---

(١) وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص٣٤٣ صحيح البخاري، باب التعاون في بناء المساجد ج١ ص١١٥ السيرة النبوية، ابن هشام، ج٢ ص٤٩٧.

(٢) وقعة صفين، نصر بن مزاحم، ص٣٤٣، المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص٤٣٨، حديث رقم (٥٦٦٥/١٢٦٣) بلفظ متقارب.

أنهم يضعون الإمام عليه السلام موضع المقاتل دون وجه حق، فلما قُتل عَمَّار بانَ لهم أنَّ الحقَّ مَعَ عليّ!! ولن أُناقش هذه المسألة باعتبار أن الذاهبينَ إلى هذا الرأي ومنهم عبد الحميد فقيهي لا يستحقون المناقشة أو الوقوف على أقوالهم، ولعلّ ما ذكرنا من آراء وتحليلات تكادُ تَنْسِفُ ما أدلوا به.

حول التحكيم:

يرى جُعيط بأنَّ خديعةَ عمرو لأبي موسى في التحكيم رواية موضوعة ارتقت إلى مستوى الخَبَر المقبول بالإجماع وأنَّها عَبَرَت الأجيال بنجاحٍ، ذاكراً أن بعض المستشرقين مثل: فلهاوزن و لامنس لا يسلّمان بهذه الرواية، وذلك بحجّة أن الطبَريَّ ينقل الخبر بشكلٍ متناقضٍ حول تاريخ التسليم على معاوية بالخلافة عام ٣٨هـ و ٤٠هـ قبل اغتيال الإمام[١].

وحسب وجهة نظري أن ذلك لا يستدعي التشكيك في هذه الرواية، فقد يكون التسليم عليه بالخلافة في كلا التاريخين من قبل بعض أصحابه بشكل ضئيل عام ٣٨هـ وبشكل مكثّف عام ٤٠هـ!! وهذه أمنية معاوية الذي أقام الحرب ضد الإمام بعدم مبايعته له بالخلافة.

---

(١) الفتنة، هشام جعيط، ص٢٥٢، ٢٥٣.

وما التفسير الذي قدّمه جعيط إلا تصورٌ حسيٌّ في التعامل مع أحداث وحروب أُجبر الإمام عليه السلام عليها في التعامل بهذه الطريقة، بحكم الشرخِ الكبير الذي أصاب جيشه، القرّاء (الخوارج فيما بعد) من جهة وبينه من جهة أخرى، ليصل جعيط إلى أن الإمام من خلال قناعته أنه ما زال يرى نفسه الخليفة على المساحة الإسلامية، وأنه ـ الإمام عليه السلام ـ وإن نجح في تحقيق خططه التي سار عليها حتى وفاته، إلا أنه في قضية التحكيم (فشل ـ ولم يكن في إمكانه إلا أن يفشل ـ في أن يصبح خليفة جميع المسلمين، بل كان خليفة الكوفة والعراق في مقابل خليفة الشام)[1].

بهذه الروح السطحية يتكئُ جعيط على مثل هذه الآراء، بينما نرى الإمام عليه السلام كان همّه الوحيد هو: توحيد صفوف الأمّة بالطُرُقِ المشروعةِ، والذي في نفس الوقت يعرف صلاحهم حينما خالفوه، ولكن ذلك مشروط بفساد دِينِهِ الذي يأبى أن يضحّي به، وهذه الطريقة في تحليل القضايا الواقعة في صدر الإسلام أتى بها بعض المستشرقين الذين يتعاملون مع الأحداث بعقلية السياسة الصِرفة التي لا تفهم سوى لغة الدم والتصفية، أو قياسها بسياسة الوقت الحاضر وبيئته، مودّعين عقلية إدارة

(١) الفتنة، جعيط، ص٢٥٦.

الأمّة الإسلامية وفق دستور رَسَمهُ رسول الأمّة ﷺ والذي سار عليه الإمام وفق مبدأ خطّه لنفسه (لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين)، ولذا كان يرى قوام سلوك الأمّة بتطهير عقليتها من بعض أدران الجاهليّةِ التي عبثت بمسارها.

قتال المارقين:

وهذه هي الفئة الثالثة التي كان لا بد من الإمام عليه السلام قتالها كما أخبرهُ رسولُ اللهِ ﷺ، والتي لعبت دوراً في تأويل كتاب الله على غير بصيرة من أمرها في قضية التحكيم وقضايا أخرى، ذلك أنهم بعد حركة التحكيم في صِفِّين وبعد أن بان فشلهم أمام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك أنه قد نصحهم وأوضح لهم بأن طلب معاوية للتحكيم مكيدة، اخترعوا لأنفسهم غطاءاً دينياً وهو: الاعتراف بأنهم مخطئين واستغفروا الله عزّ وجلّ، وطلبوا من الإمام الاستغفار والتوبة، فقال لهم عليه السلام: (أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله ﷺ، أشهد على نفسي بالكفر!)[1] وبما أن هذه الفئة تُشَكِّلُ خَطَرَاً على مصير المجتمع الإسلامي لتَطرُّفِها غير المحدود، كان لا بد من الإمام عليه السلام المواجهة معها

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح، ص٩٢ ـ ٩٣.

وفتح باب الحوار معها كأيِّ فئةٍ قبل كل شيء، فقد أرسل ابن عمه عبدالله بن عباس للحوار معهم، وذهب هو بنفسه مما أدى إلى نتيجة لا بأس بها، فقد انضم إليه من انضم واختار الآخرون الحرب[١]، إلا أن الحوار في نهاية المطاف لم يجدِ نفعاً مع فئة متطرفة ترى خليفة المسلمين كافراً، وتطلبُ منه التوبة، وقد أسلفنا القولَ بأنَّهُ أفحمهم بِحُجَجِهِ، ومن القضايا الرائعة التي حَصَلَت في قتاله مع الخوارج أنه أخبرهم ببعض المغيّبات لتثبيت عزائم أصحابه وتثبيط عزائم الخوارج، فقد قال لأصحابه: (لا يقتل منكم عَشَرَة، ولا يسلم منهم عَشَرة)، فكان كما أخبر حيث قتل من أصحابه تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية[٢]، وهناك أمور أخرى أشهرها ما ذكرناه سلفاً وهو: إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتاله الفئاتِ الثلاث التي ذكرناها.

ونُريدُ أن نوضِّحَ هنا سلوك الإمام عليه السلام مع الخوارج من خلال هذا الموقف الذي يعكسُ مدى التزام الإمام بمبادئه التي اختطَّها لنفسه، واقتبسها من تعاليم الدين الحنيف، فقد قال أحد الخوارج ذات يوم بعد أن سمع كلاماً له عليه السلام: (قاتلهُ اللهُ كافراً ما أفقهه)، فوثب القومُ ليقتلوهُ، فقال عليه السلام: (رويداً إنما

(١) الفتوح، ابن أعثم الكوفي، ج٤ ص٢٥١ ـ ٢٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢ ص٢٧٣.

هو سَبٌّ بسَبٍّ، أو عفوٌ عن ذَنْب)[١].

وكذا رَدُّهُ على كلٍّ من زرعة الطائي وحرقوص السعدي اللذان هاجماه بأقسى العبارات والتي تعامل معها الإمام عليه السلام كأي مستفسرٍ عن أمرٍ ويجيبه بالكلام الربّاني، مقدماً النصيحة لهم ومفسراً ما اشتبه عليهم.

فقد طلب حرقوص السعدي من الإمام عليه السلام التوبة مما حصل في أمر التحكيم، وزرعة يهدد الإمام بقوله: (أما واللهِ يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه)، فما كان من الإمام إلا أن ذكّرهم بالله عز وجل بقوله: (اتقوا اللهَ عز وجل، إنه لا خير في دنياً تقاتلون عليها)[٢].

وكذا موقفه مع ابن ملجم حينما ضربه، فقد أوصى به بقوله: (قد ضربني فأحسنوا إليه وألينوا له فراشه، فإن أعش فهضمٌ أو قصاصٌ، وإن أمت فعالجوه، فإني مخاصمه عند ربي عز وجل)[٣]، وقد جعل يتفقده ويقول:

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح كلامه عليه السلام رقم (٤٢٠).

(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص٥٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ج٣ ص١٥٥ حديث رقم (٢٨٩/٤٦٩١).

(أرسلتم إلى أسيركم طعاماً؟)[١].

ومع كل ما صدر من الخوارج خاطبهم بقوله: (إنَّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا، لا نمنعكم مساجدَ اللهِ أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا)[٢].

وهذا يؤكد لنا أن أمير المؤمنين عليه السلام ليس له إلا تطبيق معالم الدين وآدابه، مقدّماً رضا الله عزوجل على رضا نفسه، وما أكثر النماذج في حياته التي نَذَرَها للهِ عزوجل.

وقفة مع بعض الدراسات الحديثة:

من القضايا التي تثار في الدراسات الحديثة هو وضع علامات استفهام في كثير من الأمور المتعلقة بتاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ذكرنا بعضها وسنذكر غيرها لاحقاً، ولا غرابةَ من هذه الشبهات والتشكيكات التي تثار في مثل هذه الدراسات، لأن المصدر الوحيد والمعتمد عند أصحاب هذه الدراسات الحديثة هو اتهام الرواة بأنّهم شيعة، أو ادعاؤهم بأن هذه الأحداث الملصقة بأميرِ المؤمنين عليه السلام زُوراً وافتراءاً...

---

(١) الفتوح، ابن أعثم، ج٤ ص٢٧٩.
(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص٥٣.

وغيرها، وكم تمنيتُ أن تكون هذه الدراسات المسماة دراسات عُليا والمقدَّمة للجامعات ليُمنح صاحبها الماجستير والدكتوراه والأستاذية أن تكونَ أكثرَ منهجيّةً وموضوعيةً من غيرها، وسأحاول تسليط الضوء على بعض الشبهات ودراستها خصوصاً المتعلقة ببحثنا حتى لا نذهب بعيداً عن مسار البحث.

فمن ضمن تلك التشكيكات قول إحدى الباحثات حول ما يتعلق بمعركة النهروان:

(وتبالغ المصادر كثيراً عند حديثها عن النتائج العسكرية للمعركة، حيث تذكر أنها أسفرت عن مقتل عشرة فقط من جانب عليٍّ ونجاة عشرة من الجانب المقابل. ويضيف بعض الرواة أنَّ عَلياً نفسه تكَهَّنَ بهذهِ النتيجة قبل اندلاعِ القتال. وتبدو هذه الروايات غير مقبولة لا لأنها تدخل في باب التنبؤات والخوارق، وهي صفات ألصقتها الشيعة بعليٍّ في فترةٍ متأخرة).

وتواصل الباحثة تشكيكاتها بقولها:

(ويذكر الرواة عند سردهم لأحداث النهروان أن علياً أمرَ أصحابه بعد نهاية المعركة بالبحث بين القتلى عن رجلٍ ناقصَ

اليدِ في عضده شامَةٌ تمتدُّ كهيئة الثدي وهو الشخص الذي أخبره الرسول أنه يكون العلامة المميزة لقومٍ سيخرجون يتكلّمون كلامَ الحقِّ لا يتجاوز حُلوقهم يمرقون من الدِّينِ مُروقَ السهمِ من الرمية وقد عثر أصحاب عليٍّ على جثةِ هذا الرجل بين القتلى، ففرحَ عليٌّ من صحّةِ موقفه في هذه الحرب)[1].

ولرد مثل هذه الشبهات نقول:

١ ـ إن هذه الروايات ليست ببعيدة عن الواقع، حيثها وردت في المصادر التاريخية والحديثية، القديمة والحديثة، السنّيّة والشيعية، وممن ذكرها اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) في تاريخه ج٢ ص ٩٣ ، ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤) في الفتوح ج ٤ ص ٢٧٣، وكذلك الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في الاختصاص ص ١٧٩، وأبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨) في السنن الكبرى ج ٨ ص ١٨٥، وابن الصبّاغ المالكي (ت ٨٥٥هـ) في الفصول المهمّة ص ١٠٤، والمتقي الهندي (ت ٩٧٥) في كنز العمال ج ١١ ص ٢٨٧، وأخيراً العلامة الأميني (ت ١٣٩٠هـ) في الغدير ج ٧ ص ٢١٧ وأضاف مصادر غير التي ذكرناها.

---

(١) حركة الخوارج، لطيفة البكاي، ص٤٧

٢ ـ إذا كانت هذه الأمور من الملصقات الشيعية في الفترة المتأخرة فإن الباحثة غاب عنها أنها نقلت روايتها من المسعودي والطبري!! فهما من المتقدمين.

٣ ـ فرح أمير المؤمنين عليه السلام أنه ظَفَرَ بهم، وليس لتأكده من صحة موقفهِ في هذه الحرب، ذلك أننا ذكرنا أنه سيقاتل هذه الفئات كما أخبره رسول الله ﷺ، إضافةً إلى ما ذُكر فإنها تسعى إلى الفصلِ بين أحاديثَ صَدَرَتْ من النبي ﷺ وانطبقت على أناس بعينهم، ذاهبةً إلى أن العملية يهدف أصحابها من ورائها إلى إكساب شرعية أو تدعيم موقفهم وإضعاف موقف أعدائهم[١].

وهذا الرأي ذهب إليه أبا الخيل كما أسلفنا في الصفحات السابقة، وهذا في الواقع فصلٌ بين النظرية والتطبيق ومحاولة من الباحثة إلى تلميع شخصيات قاتلها أمير المؤمنين عليه السلام وهو على يقين بما قام به.

٤ ـ ليس من العجيب أن يُخبر الإمام عليه السلام أصحابه بما سيجري في هذه الحرب، إضافة إلى ذلك أن أصحاب الإمام جلّهم من الكوفة، والكوفة كما يُعبّر عنها بأنها منطقة عسكرية

(١) حركة الخوارج،د. لطيفة البكاي، ص٤٧.

قطنها الكثيرون من الأقوام والقبائل الذين دخلوا الإسلام، مما يعني أن تبادل فنون القتال بين هذه الطبقات أمرٌ وارد، ويجعل من أصحاب الإمام مقاتلين أشدّاء متمرّسين على جميع فنون القتال، إضافة إلى كثرة عددهم[١].

نعم!! ذهبت البكّاي إلى مسألةٍ نتفق معها والتي ذكرها كذلك الدُّوري[٢] وقد نقَلَتْهَا عنه، وهي: أن حِزْبَ المارقين تطوّر فيما بعد ليكوّن لديه ثلّة من الفقهاء والمفكّرين... إلى إقامة عدةِ دولٍ في شمالِ أفريقيا وفي عُمان وغيرها من بقاع الأرض، ولكن هذا ليس معناه أن البذرة كانت تحمل النوايا السليمة، والفكر المنفتح!! وليس باستطاعتنا أن نستميت لتضعيف بعض الأحاديث والتعامل معها بطريقة حسّيّة بحجةِ أنَّ فيها مبالغات أو أن رواتها شيعة وغير ذلك!، بل علينا أن نجعل المعيار هو تطبيق الأحداث وفق تلك النظريات، إضافة إلى ذلك أنها تنبؤات صدرت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى. ومعلوم أن التنبؤات الصادرة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله لها

(١) وأظنُّ أن الحروب الدينية من أعتى الحروب وأشدّها، على خلافه في الحروب من أجل مصالح سياسية أو من أجل عرش. ويلي الحروب الدينية من حيث الشدة والقسوة الحروب القبلية أو الأهليّة.

(٢) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د. عبدالعزيز الدوري، ص٣٤.

صدى واسع، وقد أوردنا شيئاً منها في الصفحات السابقة، فكيف إذا كانت كما وردت عنه ﷺ!!

ونواصل طرح هذه الشبهات مع الدكتور الدُّوري، الذي يؤمن بمبدأ الشورى في الإسلام[١]، ويرى أن كل هذه الخلافات مبنيّة على تيارين وهما: التيّار القَبَلي والتيّار الإسلامي، وذلك منذ السقيفة وحتى بني أمية مبنية على أمرين إما على عنصر القبلية أو عنصر الإسلامية، متغافلاً ومتجاهلاً قول الشيعة في هذه المسألة وهو: (القول بالنص) أي: تعيين الخليفة بنصٍ إلهيٍّ أو نبويٍّ وليس بشورى.

وهو يدافع عن مبدأ الشورى دفاعاً من منطلق نظرته القومية والقبليّة، ليصل إلى الابتعاد عن طرح رأيه الشخصي في الموضوع ومكتفياً بما طرحه المعاصرون[٢]، ولا أعلم أعجزٌ في قدرات الدكتور، أم أنه خائفٌ بالاصطدام بمسألة الإمامة التي يقول بها الشيعة الإماميّة؟!

وحاول كثيراً في طرح التحرك الإسلامي أنه قَبَليٌ، كل ذلك ليعطينا نتيجة بأن الخوارج القَبَليين أصحاب فكر قومي مقابل قومية وقبلية قريش، وأنهم ـ الخوارج ـ ليسوا بأعراب

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د. عبد العزيز الدوري، ص٥٦.

(٢) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د. عبد العزيز الدوري، ص٥٨.

وأنهم متطورون[١]، لِيَصِلَ في النهاية أن بيئة صدرِ الإسلام وما قامت عليه، هي بيئة قبليّة في مقابل سياسة الإمام عليه السلام الإسلامية والذي وصف تحركه الإصلاحي في ظل هذه الظروف القبليّة (كمن يطرق في حديد بارد)[٢].

نعم!! لا نخفي هذه القَبَليّة ولا ننكرها، ولكن كيف يؤمن الدكتور بمبدأ الشورى، والشورى قدّمت القَبيلة على المبدأ الإسلامي، وقد أقرّ ذلك في كتابه الذي نقلنا عنه، بأن عثمان قدّم قبيلته وَقرَّبَهُم إليه على الطرح الإسلامي، وقد دافع عن هذا السلوك دفاعاً غريباً ذاهباً إلى أن مصلحة الأمّة في هذا التقريب القبلي للخليفة.

من خلال ما ذكرنا يا ترى أي الأمرين نسلك، الطرح القَبَلِي أم الطرح الإسلامي؟! لا أظنُّ أن مسألة القبيلة تشكّل مسألة ذات بعد قبلي صِرْف!! فمع وجود هذه المسألة إلا أنها نُظِّمَتْ منذ عهد الرسالة ليأتي أمير المؤمنين عليه السلام ليواصل الطرح الإسلامي الصافي من الشوائب العالقة بمفهوم القبيلة بما هي قبيلة، ولا نخفي أن بعض الصحابة ما زال متمسكاً ببعض المفاهيم السائدة للقبيلة كالتعاون غير المحدود، والثأر من أجل

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د. عبد العزيز الدوري، ص٣٤.
(٢) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د. عبد العزيز الدوري، ص٦٨.

الثأر، والكرم... وغيرها من الطقوس المعروفة في عُرف القبائل، وهناك بعض الصحابة الذين تعاملوا مع قضية القبيلة من حيث إنها داعم نفسي كالافتخار وحفظ العهود والتحالف... الخ، ولا نريد الاستطراد أكثر في هذه المسألة، لأنها ستدخلنا في مواضيع فرعية لا تمتُّ بصلةٍ إلى جوهر البحث.

نظرة سريعة على عبقرية الإمام للعقّاد:

هذه وقفة سريعةٌ على بعض ما أورده الكاتب الكبير/ عبّاس محمود العَقّاد في كتابه (عبقريّة الإمامِ عليّ)، لنقول حول ما سطرته يداه التالي:

العقّاد من المؤلفين الموسوعيين، ومن الشخصيات التي تطرح رأيها بجرأة القلم واللسان، ولكن كما يقال: (لكلِّ جوادٍ كبوة)، فمع قوّة قلمه وتفكيره وتحليله إلا أنه يخضع تارة لسلطان الهوى والمشارب الفكرية المختلفة، فقد وقع في مغالطات كبيرة وأعطاها مساحة صغيرة في كتابه آنف الذكر، ولن نتقصّى كلماته تلك، بل نناقش بعضها ونُعْرِضُ عن البعضِ الآخر:

١ ـ تكلَّم عن عِلْمِ الإمام وشجاعته وأن المسائل التي خنقته إبّان تسلُّمه زمام البيعة وتصرّف إزاءها معذورٌ فيها، ولو أن أي إنسانٍ وُضعَ في الظروف التي عاشها الإمام لقام بنفس

التصرّف. بعد التحليل والاسترسال السابق الذي ذكره، نُفاجأُ بهجومٍ من الكاتب الكبير على شخص الإمام علي عليه السلام، ويتعامل معه كأي إنسانٍ يخضع لغرائزه وشعوره في طرح ما يريد، وكأني به يمدحُ حين يُعظِّم الإمام، ويضعه على المشرحة حينما لا يعجبه كلام الإمام، ومن ذلك قوله بعد أن كان الإمام يطرح مسألة القرابة كعنصر ضروري في استلام زمام الأمور بعد النبي صلى الله عليه وآله: (وأنه ـ أي الإمام ـ كان يرى أن قرابته من النبي مزية ترشّحه للخلافة بعده لأنها فرعٌ من النبوّة على اعتقاده، وهم شجرة النبوّة ومحط الرسالة). كما قال: (ومما لا شك فيه، أن شعوره هذا طبيعي في النفس الإنسانية كيفما كان حظّها من الزهد والقناعة، لأن تخطيه ـ مع هذه المزية التي ترشحه للبيعة ـ يشبه أن يكون قدحاً في مزاياه الأخرى، من علم وشجاعة وسابقة جهاد وعفّة عن المطامع، أو يشبه أن يكون كراهة له ومماألأة على الغض من قدره، ولم يزل من غرائز النفوس أن يسوءها القدحُ فيها والحطّ من مزاياها ومواجهتها بالنفرة والكراهة)[1].

وما أحبُّ توضيحه هنا، أن الإمام لم يطرح المسألة إيماناً

(١) عبقرية الإمام علي، العقاد، ص١١١.

بها!! بل طرحها حجّةً على من احتجّ بالقرابة من رسول الله ﷺ حينما تولّى غيره أمور الخلافة وطرحها كشعارٍ يخدمُ ما بَنَتْهُ السقيفة، وإلا فالإمام يحتج بالإمامة، وما البيانات الصادرة منه عليه السلام في أمورٍ لا تُقبَل إلا من باب المحاججة التي يطرحها غيره لدحض تلك الشعارات المرفوعة.

٢ ـ النظرة القبليّة التي كان يتعامل معها بعض المؤرخين وسار عليها من أتى بعدهم ليؤمنوا بأنّ الخِلاف الحاصِل بين الصحابة في صدرِ الإسلام سببه النظرة القبليّة، وقد أقحم العقّاد هذه المسألة في كتابه آنف الذكر كغيره، وألبسها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (ويشاء القدر أن تكون المزية في ميزان عليٍّ هي العائق الأوّل في سائر الموازين)[١]، ويقصد بذلك قرابته من النبي ﷺ كما ذكرنا في النقطة الأولى، ويواصل العقّاد نقده الذي ليس له محلٌ من الإعراب بقوله: (فليس من المعقول أن تسودَ العالمَ كلّه أسرةٌ هاشميّة، ولا من المعقول أن يُبنى الأساس على المساواة، وأن يقام الحكم على هذا التفضيل)[٢]، متهماً في الوقت ذاته أن ذلك قول الغلاة، والقول الذي يقصده

(١) عبقرية الإمام، العقاد، ص١١٢.

(٢) عبقرية الإمام، العقاد، ص١١٢.

هو أن الخلافة في بني هاشم حكمٌ من أحكام الله وضرورة من ضرورات الدين، وينفي نفياً قاطعاً أن هذا الأمر ـ الخلافة ـ له دليل واحد صريح أو حادثة تثبت على أن ذلك إرادة إلهية[١] .

وكم أعجبُ من استرساله هذا، الذي فرّق بين الملك والخلافة في صفحات سابقة من كتابه هذا، ولم يبحث الفرق بين الأمر الإلهي الذي قال به الغلاة كما تفضل، وبين الخلافة الهاشميّة التي أعطاها نظرةً قبليّة!! مناقشاً هذه المسألة حسب ما يراه من وجهة نظر حسّيّة غير مكترث بالنصوصِ التي أوردها علماءُ الفريقين والتي صَدَّرنا بها البحث، وغيرها من النصوص الصريحة التي هي في الواقع دعامة أساسية في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته، والتي يؤمن بها ويرجِّحها كما ذكر في فصل (النبي والإمام والصحابة) من كتابه.

٣ ـ يعاود العقّاد بسَكْبِ عبير يراعه حول سيرة الإمام عليه السلام ويشرّحه في الوقت ذاته، وذلك بعد أن شرّحه في قضايا أستغرب منه أنه لم يعطها مساحةً من ينبوع عقله السيّاح بقوله: (وقد كان له رأيُ عالِم، وفطنةُ حكيم، ومشورةُ

(١) عبقرية الإمام، العقاد، ص١١٢ ـ ١١٣.

مدبِّر.. ولكننا إذا قلنا: أخفقَ في العمل لأنه لم يغلب القدَر، فذلك تكليف بما لا يطاق، وإنما نقول إنه أخفقَ في العمل ونُمسِك)[١].

أيُّ فكرٍ هذا الذي لا ينصفُ هذا العالِم الحكيم ذو المشورة، وينعته بأفضل ما نعتَ غيره، ليأتي في خاتمة كتابه على جملةٍ تَنْسِفُ وتنقض كل ما كتبه!!

فالتناقضات ليس لها محلٌ في مثل هذه البحوث التي توجب على الكاتب أن يكون واضحَ الرؤية، شديد البصيرة، وخصوصاً حينما يتناول تاريخ هذا الإمام العظيم بجميع جوانب حياته، فإن الباحث بحيادية في تاريخ هذا الرجل العظيم سيصل إلى نتيجة قد تخالف هواه، وتُسقِط شخصيّات لها مكانتها، وهذا ما لم يُوَفَّق له العقّاد رغم ذكائه وفطنته وقوّة بيانه، أو أنه ربما وُفِّقَ للوصول إلى بعضِ الأمور، إلا أن جرأته لم تسعفه هذه المرّة بما يؤمن به.

رؤية:

لعل كثير من المؤرخين تطرّقوا إلى هذه المسألة، إلا أني أحببت أن أعطيها شيئاً من الاهتمام على نحو الإيجاز، فكما

---

(١) عبقرية الإمام، العقاد، ص١٥٩.

هو معلوم أَنَّ الفتوحات إبّان خِلافة الخُلفاءِ الثَّلاثة أخذت طريقها بشكلٍ مستمرٍ، دون التركيز على تعليم هذه الفئة التعاليم الدينية وخصوصاً الشام، التي كان فتحها على يد يزيد بن أبي سفيان، وحين توفي تم تعيين معاوية على الشام، مما يدلل أن الشام تخضع لسيطرة سفيانية، وهذا ما جعل عقولهم تخضع لأطروحات معاوية، وسببُ هذا الخضوع أن التعاليم التي يأخذونها لا يقبلونها من أي شخصٍ آخر باستثناء من حضر المدينة المنورة وعرف الصحابة عن قرب.

وهذا ما جعل معاوية أن يُدير حَرَكَةَ التمرُّدِ ضِدَّ الإمام عليه السلام في الشام وخارجها بشكلٍ مُنَظّم، فهو لم يُبَايع لأنَّ لديه الكثير من الجُنْد المنتمين إلى قبائل شَتَّى، وأخضعهم إلى سيطرته، فقد أَغْدَقَ على زُعماء القبائل من خزينةِ بيت المال دونَ توقف، فقط لأجل حَشْدِ أكبر عدد حوله لقتال الإمام عليه السلام.

معاوية والاصطياد في الماء العكر:

هناك كلمات كثيرة في وصف معاوية، تبيّن مدى بعده عن الفكر الإسلامي ونهجه، إلا أن أوجز كلمة تصف معاوية كلمة عبد الله بن عباس حين اجتماع الحكمين في صفين، فقد قال

لأبي موسى الأشعري: (ليس فيه ـ أي أمير المؤمنين عليه السلام ـ خصلة تباعده من الخلافة، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة)[١].

فرغم ما صدر من معاوية من سلوك لا يليق بأي مسلم التلبّس به، فإنه ومع انشغال الإمام عليه السلام بقتال الخوارج فقد أحبَّ أن يوفي بوعده لمستشاره ابن العاص وذلك لمنحه إياه مصر، فقد وجهه إلى مصر لقتال ابن الخليفة الأول محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وما كفى ابن العاص قتل ابن الخليفة!! فقد مثَّل بجثته تمثيلاً بشعاً وسُرَّ معاوية بذلك، وقد جزع الإمام عليه السلام لقتله فقال بحقه: (فما جزعت على هالكٍ منذ دخلتُ هذه الحروب جَزَعي عليه)[٢].

ولما عَلِمَ معاوية بإرسال الإمام عضده الوفي مالك الأشتر، بَعَثَ له من يَسُمُّهُ وكان ما أراد وقيمة مالك عند الإمام كبيرة، فقد قال بحقه: (كان لي مالك كما كُنْتُ لرسولِ الله)[٣].

إضافةً إلى ذلك فقد أرسل معاوية بعض جنده بشنِّ الغاراتِ على المناطق التي بايعت أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

(١) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٩٢.
(٢) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٤٠٤.
(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج٩ ص٤١ (ترجمة مالك).

مثل: مكة المكرمة، المدينة المنورة، اليمن، بعض نواحي الكوفة...الخ، وما زاد الوضع تأزماً هو عدم قيام الكثير لمناصرة الإمام عليه السلام، ولذا فقد خَطَبَ الإمامُ عليه السلام في أصحابه وقال لهم: (يا أهل الكوفة أُكُلَّما أقبلَ منسر من مناسِرِ أهل الشام أغلقَ كلُّ امرىءٍ بابه وانجحر في بيته انجحار الضب والضبع الذليل في وجاره؟ أفٍ لكم! لقد لَقِيتُ منكم، يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم، فلا إخوان في النجاء، ولا أحرار في النِّداء)[1].

ونتيجة هذه النقطة أننا ذكرنا الفرق بين معاوية والإمام عليه السلام وهو (الغدر)، وهذه السلوكيات توضح لنا مدى خبث معاوية والسياسة التي ينتهجها، مما جعل الإمام لا يساوم ولا يهادن معاوية أو يبقيه على الشام حتى لأيَّام، فسياسةُ الإمام عليه السلام تجاه معاوية لم تكن مسألةً شخصيةً أو عِنادٍ أو غير ذلك!! بل الظروف المحيطة به جعلته كذلك، ولذا لم يتوانَ في تبيان الحق والمنهج الإسلامي لحظةً واحدة.

وقبل إسدال الستار على قتال الإمام للقاسطين ورفعهم عِدَّةَ شعاراتٍ للتشويش على المسلمين، فإني أتساءل: ماذا فعل معاوية بعد مقتل الإمام علي عليه السلام، هل بحث عن الذين قتلوا

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٩٥ ـ ١٠٢.

الخليفة عثمان حينما جلس على دَكّةِ المُلْك؟! أم أن الكرسيَّ أنساه القصاص من قتلةِ الخليفة ابن عمّه؟!

الإمام علي عليه السلام والحكومة الإسلامية:

بلا شك أن ما ذكرناه آنفاً من مقتل عثمان مروراً بقتالهِ للناكثين والقاسطين وختاماً بالمارقين، توضّح لنا أن هناك شيئاً يطرحهُ الإمام عليه السلام ويريد أن يُطَبّقه.

هذا الأمر الذي سعى الإمام عليه السلام إلى تطبيقه هو السير على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخلاصةُ ذلك تتجلّى في عهدهِ لمالك الأشتر الذي عبّر عنه بأنهُ سَيْفٌ من سيوفِ اللهِ حينما أرسله إلى مصر[1]، حيث تتجلّى أهميّة هذا العهد في أنّه وثيقةٌ سياسيّة مهمّة لكلِّ من أراد أن يَطْرُقَ بابَ السياسة، فالإمام عليه السلام من خلال حياته السياسية وعهده هذا، أراد أن يُدِير السياسةَ بالدِّين لا أن يدير الدِّينَ بالسّياسة، ولسنا بصددِ دراسة عهده لمالك الأشتر! ولكن أحببنا الإشارة إليه لِعِظَمِ هذا العهد الذي قُدِّر للإمام أن يطبّق بعضه، وينصح عضده وعامله الجديد على مصر بتطبيق هذه السّياسة التي لا تنفك عن الدين قَيْدَ أُنْمُلَة، والمنبثقة من جوهر الدين.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح ص٤١١.

ثم إن الأمر يستلزم دراسة حياة مالك الأشتر، ولماذا استعمله الإمام عليه السلام بدلاً من محمد بن أبي بكر؟ وأسئلةٌ تطرح نفسها في هذا المضمار وهذا التغيّر في سياسة الإمام عليه السلام في تغيير العُمّال، ذلك أن الأشتر شخصية بارزة في حياة الإمام عليه السلام في سرعة طاعته لمولاه، وعدم تشكيكه في وصايا إمامه عليه السلام، ولذا نرى الإمام يوصيه بوصايا مختلفة بدءاً من علاقته بخالقه وتطبيق فرائضه وسنّته، إلى وضع البلاد التي أرسله لها، ومفسِّراً له طبقات المجتمع، ومحذِّراً له بالابتعاد عن احتواء بعض من يحملون السلوكيّات غير المقبولة وألا يجعلهم بطانته، وموصياً له بالسِّتْرِ على من لم يُفتَضَح أمرُهُ عند العامّة، وأن يكون ناصحاً لرعيّتهِ، وأن يُدَارِسَ العُلماء والحُكماء، وأن يختبر عُمّاله إذا استعملهم، وأن يجعل أمر ما اشتبه عليه إلى كتاب الله عز وجل وسنَّة رسولهِ صلى الله عليه وآله، وأن لا ينسى من لا حول لهم ولا قوّة كالفقراء والمساكين وغيرهم، وأن يُفرِّغَ نفسه لذوي الحاجات بجعل جزءاً من وقته لهم، وحذَّرَهُ من سفكِ الدماءِ بغير حق، وأمَرَهُ بعدم المنِّ على الرعيّة بالإحسان، وأن لا يَعْجَل بالأمور قبل أَوَانِها، إلى أن يختم عهده هذا بالدعاء له بالسعادة والشهادة.

وهذا العهد لم يكن مجرد تنظير يؤمن به الإمام عليه السلام أو يطرحه ليهرب من الواقع الذي هو فيه!! بل هي صادرةٌ جَرّاء

تجربةٍ طويلةٍ في المعترك السياسي والديني ومشروع إقامة الدولة الإسلامية المواكبة للتقدم الحضاري ومنها ترسية دعائم العَدْل، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في أوج المعترك السياسي بدءاً من وجوده في مكةَ المكرمة إبّان بداية الدعوة، وأثناء تواجده في المدينة مع رسول الله ﷺ، وما جرى من أحداث بعد السقيفة من تولي الثلاثة منصب الخلافة، كل هذه الأمور وغيرها أهّلته أن يُمَارِسَ السّياسة وفق ضوابط معينة وعلى خطى ثابتة ومدروسة، إلا أن الحروب التي افْتُعِلَتْ ضِدَّهُ جَعَلَتْ منه في نظر بعض المؤرخين والمحلِّلين فاشل سياسياً، وهذا للأسف تنظير لا يقبله أيّ مُنْصِفْ، وعلى المنصفين أن يقرؤوا أمير المؤمنين عليه السلام من خلال نهج البلاغة[1] الذي يعكس الصورةَ الحقيقية لسيرته وسلوكه مقارنين في ذلك روايات المؤَرِّخين حتى يأخذ الحَقُّ مجراه، أو يقرؤوه من زوايا أخرى غير جانب الانتصارِ العسكري الذي يسيطرُ على العُقُول.

وللأسف أن بعض المؤرخين والمحلّلين المتقدمين منهم

---

(١) يقول جعيط في كتابه (الفتنة) ص٢٩٢: (أما الخطب المنسوبة لعلي، الرائعة البيان والبلاغة، فموضوعة برمّتها). هكذا هي عقلية جعيط ورؤيته لخطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، بحركة قلم يريد أن ينسف مصدراً من مصادر التاريخ واللغة والأدب، وليته أوضح بعض الأسباب حيال هذا الرأي، أو صنّف شيئاً تجاه ما ذهب إليه!!.

والمتأخرين، يتناولون شخصية الإمام عليه السلام من جوانب معينة، مثل: الجانب السياسي الصِرْف، الديني، الجهادي، ويتغافلون بعض الجوانب الأخرى التي لها مساس بشخصية الإمام عليه السلام مثل: الجانب الرسالي، الإنساني، الاجتماعي، التربوي، الدَّعَوي، اللغوي، القضائي، وغيرها إلا ما ندر.

ثم إن إقامة الدولة عند الإمام عليه السلام كما أسلفنا القول تعني مزج الدين بالسياسة، باعتبارهما حلقتا وصل كلٌّ منهما يكمّل الآخر، على خِلافه عند معاوية وغيره الذين اتخذوا الدين وسيلة لتحقيق مآربهم الشخصية، وقد سار على سياسة معاوية بني أمية ومن تبعهم، مُسْتَبدِّينَ بالسُّلطةِ ومخلّفين حقوق الرعيّة خَلْفَ أظهرهم، والمطّلع على عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر يرى أنه يستوفي جميع حقوق الرعية جميعها من الفقير والغني والتاجر والعامل وكل فردٍ من أفرادِ الرَّعيّة، وذلك لتحقيق العدالة على وجهِ الأرض.

خاتمة

بعد أن دوّنا شيئًا من سياسته عليه السلام مع معارضيه ومخالفيه، وأوضحنا بعض الأمور التي حاولنا فيها استجلاء الحقيقة قدر المستطاع، نؤكد أن الإمام عليه السلام لم يصارع من أجل المنصب، ولم يحقد على أحد لأجل سلوك معيّن، بل كان سلوكه يمثل جوهر الإسلام، سواء في تعامله الاعتيادي أو تعامله السياسي أو غير ذلك.

وقد نطق بذلك غير مرّة موضحاً الغرضَ من قبوله الخلافة، ومن أقواله حيال هذا الأمر: (اللهم إنك تعلم أنه لم يَكُنْ الذي كَانَ مِنّا، مُنَافَسَةً في سُلطان، ولا التماسِ شيءٍ من فضولِ الحُطَام، ولكن لِنَرُدَّ المعالمَ من دينك، ونُظهرَ الإصلاحَ في بلادك، فيأمن المظلومون وتُقَام المعَطَّلةُ من حدودك)[1].

ولذا رغم ما تعرّض له عليه السلام من إساءةٍ في شخصهِ ودينه،

(١) شرح النهج، ابن أبي الحديد، ج٨ ص٢٦٣.

فإنه يأبى إلا أن يظلَّ ذلكَ الرمز الذي يعكس التربية النبوية ليجسّدها وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يَمُتْ، وتعاليمه لم تَنْدَرِس، وقد ذكرنا مواقفاً من ذلك في ثنايا البحث مستدلّين ببعض الشواهد التاريخية لتقريبها إلى الأذهان، فسلامُ اللهِ على أميرِ المؤمنين يوم ولدَ في أطهر بقعةٍ من بيت اللهِ عزّ وجلّ، ويوم قُتلَ شهيداً في بيتٍ منْ بيوتِ اللهِ عزّ وجلّ وعلى أفضل هيئةٍ، ويومَ يُبعثُ حيًّا يُحاسبُ خصومه وأعدَاءَهُ في محكَمَةِ العَدْلِ الإلهيّة.

هذه مقطوعة شعرية جادت بها قريحتنا، أحببنا أن نثبتها في الخاتمة:

عشقتكَ القلوبُ جيلاً فجيلا ... وتعاليتَ مُذْ هَوَيْتَ قتيلا
ورماكَ الزمانُ لحناً تليداً ... فاحتوتهُ حناجري ترتيلا
أيُّ نَغْمٍ وأنتَ سِرُّ نشيدي ... أيُّ حرفٍ حوّلتني تحويلا
يا أميرَ البيانِ خُذني فإنّي ... أتمنَّى بظلِّكُم تظليلا
يا عليَّ الزمانِ أنتَ مَلاكٌ ... يتهادى فيُشعلُ التنزيلا
تتهادى على القلوبِ جِراحٌ ... صاغها الدهرُ مأتماً وعويلا
وقلوبٌ على المحبّة ظَلَّتْ ... بعلاكم تُغازِلُ التبجيلا

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيّد مرتضى العسكري، كليّة أصول الدين، الطبعة السادسة ـ ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

٢ ـ الاختصاص، الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري ﷺ السيد: محمود الزرندي، دار المفيد ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).

٣ ـ إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، [د.ت].

٤ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، دار المفيد ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).

٥ ـ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء ـ بيروت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

٦ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف ـ بيروت، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

٧ ـ الأعلام، خير الزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة السابعة عشر ـ ٢٠٠٧م.

٨ ـ الأمالي الشجرية، ابن الشجري، اسطوانة ممغنطة من إصدار المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

٩ ـ الإمام علي بين رؤية «النهج» ورواية «التاريخ»، د ـ إبراهيم بيضون، بيسان ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٩٩٩م.

١٠ ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تعليق: خليل منصور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨هـ (١٩٩٧م)

١١ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

١٢ ـ تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، [د.ت].

١٣ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

١٤ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، [د.ت].

١٥ ـ تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د. عمر فرّوخ، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة السابعة ـ ١٩٨٦م.

١٦ ـ تاريخ من دفن في العراق من الصحابة، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، [د.ن] [د.ت].

١٧ ـ التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، أسطوانة ممغنطة من إصدار المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

١٨ ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م).

١٩ ـ التفسير الكاشف، الشيخ: محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).

٢٠ـ حركة الخوارج «نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ٣٧ ـ ١٣٢هـ»، د/ لطيفة البكاي، دار الطليعة ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ٢٠٠١م.

٢١ـ خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، عبدالحميد بن علي فقيهي، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٢٢ـ خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، د. عمر سليمان العقيلي، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ـ [د ـ ن].

٢٣ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان الشيرازي، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

٢٤ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري، دار المعرفة ـ بيروت، [د.ت].

٢٥ـ سير أعلام النبلاء في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت، [د ـ ت].

٢٦ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ـ ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).

٢٧ـ سيرة أم المؤمنين أم سلمة (رض)، د. حصة بنت عبد الكريم الزيد، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).

٢٨ـ السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وصاحبيه، مؤسسة علوم القرآن، دار القبلة للثقافة الإسلامية، [د.ت].

٢٩ـ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العزِّ الحنفي (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ الرياض، ١٤١٨هـ

٣٠ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).

٣١ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية ـ استانبول، ١٩٨١م.

٣٢ـ عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية ـ بيروت، [د.ت].

٣٣ـ الغدير، الشيخ: عبد الحسين الأميني، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٧٤هـ.ش.

٣٤ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.

٣٥ـ الفتنة «جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكّر»، هشام جعيط، دار الطليعة ـ بيروت، الطبعة الخامسة ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ـ الفتنة الكبرى (٢) «علي وبنوه»، طه حسين، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الحادية عشر، [د.ت].

٣٧ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام، علي بن محمد المالكي (ابن الصبّاغ)، دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م).

٣٨ـ القول الجليّ في فضائل علي، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ـ ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، مؤسسة نادر ـ بيروت.

٣٩ـ كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ (١٩٩١م).

٤٠ـ الكشكول، الشيخ: بهاء الدين العاملي، أسطوانة ممغنطة من إصدار المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

٤١ـ مجلة الدرعية، السنة السابعة العددان السابع والثامن والعشرون (رمضان ـ ذو الحجة ١٤٢٥هـ).. بحث للدكتور: محمد إبراهيم أبا الخيل.

٤٢ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة ـ ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

٤٣ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٥/١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م).

٤٤ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ (١٩٩٠م).

٤٥ـ معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، الطبعة الخامسة ـ ١٤١٣هـ (١٩٩٢م)، [د.ن].

٤٦ـ مقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام، لوط بن يحيى (أبو مخنف)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المحجة البيضاء + دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

٤٧ـ مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، د/ عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة العربية -بيروت، الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٥م.

٤٨ـ المنتقى من منهاج الاعتدال، ابن تيمية، اختصره الذهبي، حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ الرياض، ١٤١٨هـ.

٤٩ـ موسوعة الإمام علي عليه السلام، الشيخ محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث ـ قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١هـ.

٥٠ـ نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، تصنيف: صبحي الصالح، دار الكتاب المصري ـ القاهرة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤١١هـ (١٩٩١م).

٥١ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، أسطوانة ممغنطة من إصدار المجمع الثقافي ـ أبو ظبي.

٥٢ ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، مكتبة الخانجي، المؤسسة العربية الحديثة ـ مصر، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠١هـ (١٩٨٢م).

المحتويات

إهداء ٥

مقدمة ٧

تمهيد ١١

الغرض من هذا البحث ١٤

مكانة الإمام عليه السلام ١٥

أخلاق السياسة عند الإمام علي عليه السلام ١٧

كيف برز عليه السلام سياسياً؟ ١٩

تحرك الإمام السياسي إبان حياة النبي صلى الله عليه وآله ١٩

أحداث السقيفة ٢١

دعوني والتمسوا غيري ٢٩

لماذا لم يوافق الإمام عليه السلام على بيعة الناس؟ ٣٠

الفرق بين الخلافة والإمامة ٣٢

نبوءات رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥

قتال الناكثين ٣٦

شعار الناكثين ٣٨

الحرية السياسية ٤٥
لماذا الذهاب إلى الكوفة؟ ٤٧
نباح كلاب الحوأب ٤٩
الحرب أم الإصلاح ٥٤
قول الحق أم التحامل على الصحابة؟ ٥٦
عدالة الصحابة ٥٧
هل حضر واقعة الجمل أحدٌ من الصحابة؟ ٦٢
قتال القاسطين ٦٣
الفئة الباغية ٧١
حول التحكيم ٧٥
قتال المارقين ٧٧
وقفة مع بعض الدراسات الحديثة ٨٠
نظرة سريعة على عبقرية الإمام للعقّاد ٨٧
رؤية ٩١
معاوية والاصطياد في الماء العكر ٩٢
الإمام علي عليه السلام والحكومة الإسلامية ٩٥
خاتمة ٩٩
المصادر ١٠١
المحتويات ١١١

الهفوف ـ الأحساء
١٤٣١ هـ

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com